روائع المسرح العالمي
٦٤

فتى الغرب المدلل

تأليف : جون ملنجتون سينج
ترجمة : حمدي أحمد رجب
مراجعة وتقديم : الدكتور علي الراعي

المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والأنباء والنشر
الدار المصرية للتأليف والترجمة

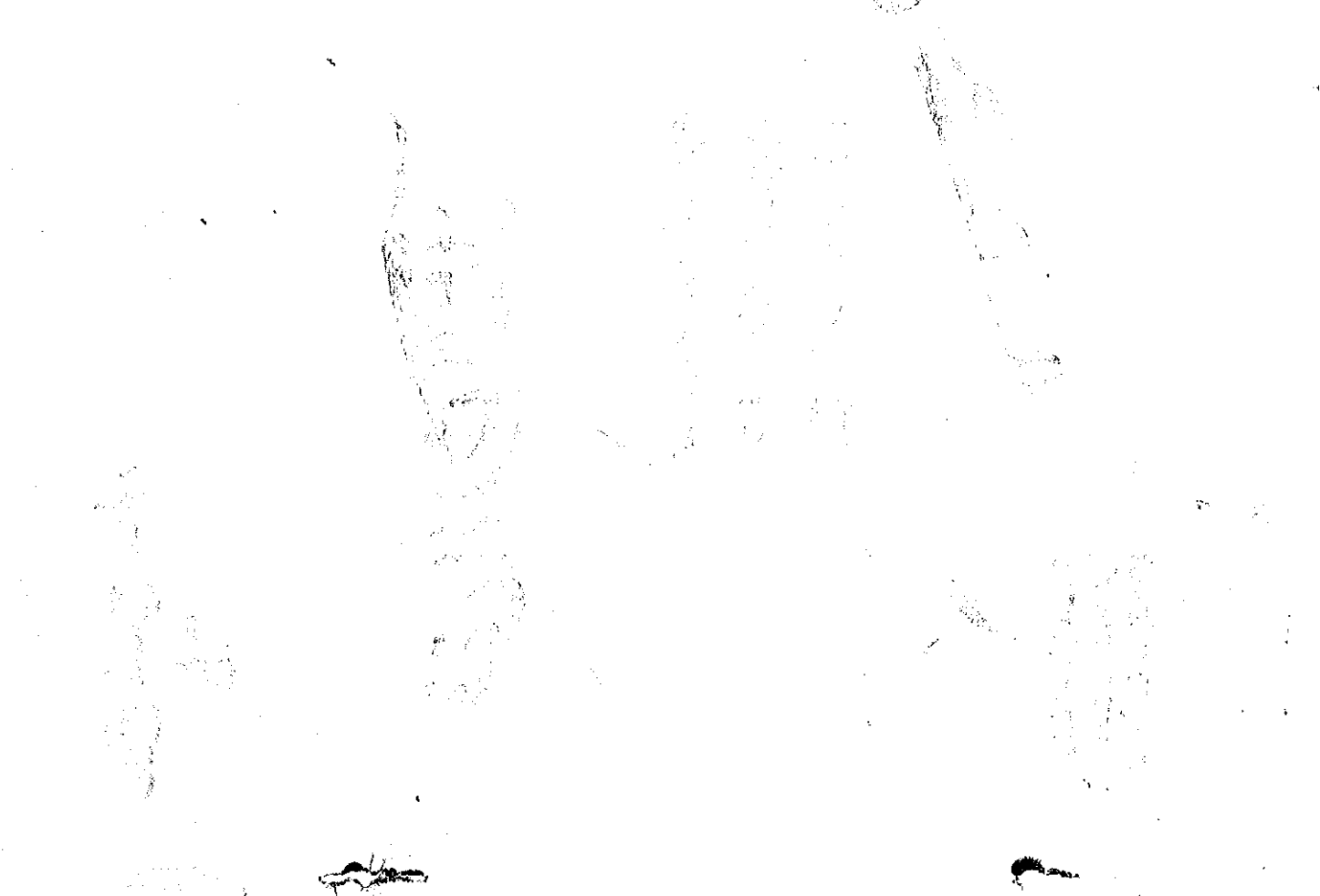

مقدمة

ولكنه ضحك كالبكا ... !

بقلم

الدكتور على الراعى

فى عام ١٩٠٧ كتب جون ميلينجتون سينج مسرحيته الخامسة : « فتى الغرب المدلل » ودفع بها الى مسرح « أبى » بدبلن ، كى تمثل ، فكأنما دفع الى ذلك المسرح بقنبلة مدمرة وليس بمسرحية فكاهية ..

قامت عليه قيامة أهل دبلن ، من كتاب وصحفيين ، ومسرحيين وممثلين . سبه المتفرجون ؛ وسخط عليه رجال الدين ؛ وتحداه الوطنيون من أنصار جماعة « شين فين » ، واضطرت ادارة المسرح ، وعلى رأسها الشاعر وليم بتلر ييتس الى الاستعانة بالبوليس يوميا لحفظ النظام فى المسرح . فكان رجالة الشرطة ينبثون بين المتفرجين ، ويحتلون أبواب المسرح ، ويقبضون على الساخرين والهاتفين والمهيجين اذا ما هدد صخبهم بايقاف عملية التمثيل . وبلغ من شدة الهياج فى المسرح أن اضطر المسئولون الى الاستعانة بخمسين من رجال البوليس

داخل القاعة وحدها ، وذلك فى الليلة الرابعة لتمثيل المسرحية .

أما الصحفيون فلم يكونوا أقل من وطنيى دبلن ثورة وتعنتا . كتبت صحيفة : « فريمانز جورنال » تصف المسرحية بأنها « اهانة طويلة خالصة لفلاحى ايرلندا ، بل ، وأسوأ من هذا ، فلاحاتها . ان الدم ليغلى فى العروق من فرط السخط ، حين يستعيد المرء حوادث هذه المسرحية الحقيرة ، وتعبيراتها ، وأفكارها ، فى الوقت الذى تسمى فيه — بدون حق — كوميديا من ثلاثة فصول . أما صحيفة « ايفننج ميل » فقد حاولت أن تتعمق المسرحية بعض الشىء ، وان لم يقل سخطها عليها عن سخط زميلتها ، فكتبت تقول : « ربما كان فيها شىء من الرمزية .. ربما كان مقتل الأب يرمز الى قاتل على مستوى الأمة كلها ، يسارع الرجال والنساء من أهل ايرلندا الى الحفاوة به . فاذا صح هذا فان هذه الرمزية تستغلق علىّ . فاننى لا أستطيع أن أقفو أثر هذا القاتل على ضفاف نهر ليفى .. أما اذا ألح الغباء على رجل فجعله يومىء الى أن أهل ايرلندا هم أكلة لحوم البشر أو غوريللات ، فلن تخطىء يدى الطريق الى مقبض السيف » .

ولم يجد بشىء الدور المجيد الذى قام به وليم بتلر ييتس فى تهدئة الرأى العام وفى القبض على المهيجين ، وفى

الشهادة ضدهم أمام المحاكم ، وفى الدفاع الايجابى عن المسرحية ، سواء بمخاطبة الجمهور الساخط من فوق المسرح ، أو باقامة ندوة تشرح المسرحية بعد انتهاء عرضها . لقد أصر معظم الناس على اعتبار « فتى الغرب المدلل » جريمة مسرحية ، أو سبة فى جبين الأمة ، أو نكتة سقيمة الذوق .. أو غير ذلك من اتهامات .

وحتى أصدقاء سينج العاطفون والمخلصون ، اختلفوا معه هم أيضا فى شأن المسرحية . كتب له جورج مور يقول انه يعطف على وجهة نظر الساخطين ، فان المسرحية تنتهى ، فى رأيه ، نهاية سيئة . ان المقصود بها أن تكون كوميديا ، ولكن نهايتها مسيئة للشعور ، وهذه النهاية ، الى جوار أن موضوع المسرحية غير ملائم بالمرة ، تجلب الأذى على العمل .. كله ..

ثم مضى جورج مور يقترح على سينج نهاية أخرى للمسرحية (سنعرض لها بعد قليل) ، ويدعوه الى أن يستبدلها بالنهاية التى أثارت سخط الناس .

أما صديقه الحميم ، صديق عمره ، ستيفن ماكينا ، الصحفى ، والوطنى ، واللغوى ، ودارس الفلسفة ، وهو الذى تعلق به سينج فى باريس ونمت بينهما أوثق الصلات ، فقد كتب معلقا على المسرحية يقول : انه يوافق صحيفة فريمان

على رأيها فى المسرحية ، وان لم يماشها فى نبراتها الحادة . واعترف بأنه بدأ المسرحية وهو كاره لفكرة تمجيد قاتل الأب ، وان المسرحية لم تلغ هذا الانطباع فى نفسه منـذ البداية ، بل على العكس أكدته وألحت عليه .

على انه واصل القراءة ، فاذا التحفظات والشـكوك ، واعتبارات الدعاية القومية تنزاح جانبا ، ويستولى عليه شعور طاغ بأنه أمام نوع من الأعمال الفنية ما أن يتخلق فى ضمير الفنان حتى يجد نفسه مضطرا الى التعبير عنه ، حتى ولو زج به الناس من بعد الى الجحيم .

ثم ينهى ماكينا خطابه بقوله : لعل أهل دبلن لو كانوا قرأوا مسرحيتك فى حجراتهم الخلفية ، قبـل أن يذهبوا الى المسرح ، لاستمعوا اليك فى نهاية الأمر ، ولوضعوا فوق رأسك تاجا مزدوجا من الورد والشوك .

* * *

ولكن ماذا فعل الشاعر والكاتب الرقيق جون ميلينجتون سينج ليستحق كل هذا ؟ ما الذى كتبه فى هـذه المسرحية المنكودة الحظ ، التى جلبت عليه العار وحققت له المجد معا ؟

ما الذى دفعه الى « الاساءة » الى الفلاحين من أهـل ايرلندا ، وهو الذى يقول : « فى الوقت الحاضر لن تجـد

الجمال فى غير دراما الفلاحين وحدها .. ذلك أنك لا تجنى العنب من هباب المداخن » .

لا شىء أكثر من أنه قص فى مسرحيته قصة طريفة ، يحدوها الخيال ويغذيها ، وان وضعها فى اطار واقعى ، وعنى كل العناية برسم شخصياتها وتتبع تفاصيل حياتها اليومية فى مزاج لذيذ من الفكاهة والنقد :

كريستى ميهون فلاح شاب ، نراه فى أول المسرحية وهو يدخل حانة ميكيل جيمز ، فى احدى قرى غرب ايرلندا .

الفتى ضائع ، مبعثر ، قد هده السفر الطويل ، فهو يلتمس المأوى والمأكل .

تراه ابنة صاحب الحان ، بيجين ، فتنعطف نحوه ، وتعرف منه قصته ، فاذا العطف عليه يستحيل حبا ، واذا هو ينقلب فى نظرها بطلا ، ومقاتلا شجاعا ، ممن تحلم بهم الفتيات فى مثل سنها .

لقد تشاجر الفلاح الشاب مع أبيه ، وهو عجوز أخرق ، مستبد ، يسىء معاملته بلا سبب ، ويضع كرامته فى التراب فى كل مناسبة .

وزاد من حدة الخلاف بين الاثنين أن العجوز مصمم على أن يزوج ابنه من شمطاء ميسورة فى الناحية ، وذلك رغم أنف

ابنه معرضا عن احتجاج الابن بأن هذه العجوز المنكودة قد أرضعته — طفلا — أسابيع بطولها ! فماذا يهم الاحتجاج لدى الأب العجوز ، وكل مأربه أن يصل الى يديه مال المرأة ، ليسكر به ، وينفقه على ملذاته الأخرى ؟ ويحتدم النقاش بين الاثنين ويتطور حتى يمسك الابن بمعزقة طويلة يفلق بها رأس أبيه ويقتله ، ثم يولى هاربا ، ويهيم على وجهه الأيام الطوال حتى يصل الى هذا الحان .

وتستمع بيجين الى هذه القصة مع أبيها وصديقين من أصدقائه ، فيقرر الجميع أن يبسطوا حمايتهم على الفلاح الشاب ، ويستخدموه مساعدا لبيجين وحاميا لها فى الأوقات التى يغيب فيها أبوها عن حانته — وهو دائم السكر والغياب معا ! — ذلك أنه ليس أدعى الى حماية الفتاة من بطل قتل أباه وتحدى البوليس ، وقرر أن يدافع عن نفسه ويدفع عنها شر التقاليد البالية ، وشر الزواج من حيزبون لم يعد يصلح لها الا الموت ..!

* * *

وتروج قصة الفلاح قاتل أبيه فى الناحية ، فتنهال عليه الهدايا من الفتيات ، وتسعى كل منهن الى مرضاته ، وتحاول أرملة من بين نساء الناحية أن تغرى الفتى بالزواج منها ،

عارضة عليه قلبها ، وبيتها ، وأرضها وكل ما تملك لو هو رضى بالعيش معها ، لا يفعل شيئا سوى التمتع بما تقدم له من نعيم الحيـاة ..

ويقول الفتى لنفسه وهو يتأمل ما يجرى له : ألا ما أغبانى . وما كان أجدرنى أن أقتل أبى من زمن بعيد ، حتى أنعم بهذه الطيبات جميعا ، بدل الحرمان والنكد ، وشظف العيش مع عجوز سكير .. !

ولكن نعيم الفتى لا يطول . فجأة يقتحم المكان عجـوز مفلوق الدماغ ، مربوطه ، سرعان ما تتبين انه القتيل المزعوم .

يأتى العجوز ليؤدب ابنه الجبان ، الذى ضربه على رأسه ومضى هاربا من فرط الفزع ، لم يقتل ، ولم يدفن كما زعم ، وانما تورط فى حماقة ، وهرب منها ، فلم تكن له شـجاعة القتل ولا حمية القاتل المدبر .

وتنهار أسطورة الفتى ، فى الوقت الذى فاز فيه بقلب الفتاة ويدها ، وفى الوقت الذى اكتسح فيه مباريات الرياضة فى الناحية ، فنصبه أهلها بطلا عليهم غير منازع . ويتحـول المعجبون الى نقاد هازئين شامتين ، ويعز على الفتى هـذا التطور السخيف فى مجريات الأمور ، فيقرر أن يفتك بالعجوز فعلا ويندفع وراءه ثم يضربه ضربة لا شك فيها تنهى حياتى .

ويعود كريستى الى فتاته وأهلها ، حاسبا أنه بهذا قد استعاد قلب حبيبته واعجاب أهلها وعشيرتها ، ولكنه يتبين شيئا غريبا حقا .

ان الفتاة وأهل ناحيتها يفرقون تفرقة حادة بين قصة ذات أبعاد وظلال وألوان ، دارت حوادثها فى غير ناحيتهم ، فهى لا تحملهم تبعة ولا تكلفهم مؤنة الا الاستمتاع ، وبين فعلة قذرة تتم تحت سمعهم وبصرهم وتعرضهم للمساءلة ، وتسلط عليهم يد القانون .

اذ ذاك يقرر المجتمعون القبض على الفتى وتسليمه للسلطات ، وتكون الفتاة أنشط الجميع فى محاولة القبض عليه . بل انها لتمضى قدما فتكوى الفتى بجمرة متقدة حتى تحمله على سرعة التسليم .

وبينما الجميع فى غمرة هذه الادانة العملية للبطل السابق ، يدخل الأب مرة ثالثة ، ليثبت أنه لم يصبه أذى من ضربات ابنه .. !

هنا يحدث تحول ذو مغزى من موقف كل من الأب والابن . ان ما فعله الابن حتى الآن من تحد للأب ، ورغبة فى التصدى البدنى له ، وما فاز به من بطولة رياضية وما أبداه من احتقار لعقلية أهل الناحية ، بعد أن أثبتوا أنهم يخشون

أن يقوم بينهم فعلا من يتحدى القانون والعرف — كل هذا يكون سببا فى التقريب بين الأب وابنه . فان الأب كان يحتقر ابنه لأنه هزيل ساقط الهمة ، أما وقد وجد من نفسه الجرأة على أن يثبت أنه أهل للتحدى ، فان الأب يأخذ فى الاعجاب به .

ويحاول الأب فعلا أن يقرب منه الابن ، فيكتشف — لشدة سروره — أن الابن قد مضى فى تحديه الى أبعد مما قدر له . ان الابن يقرر أن يكون — من ذلك الوقت فصاعدا — هو المالك الوحيد لزمام الأمور .

قرر أن يقود ويتبعه أبوه ..

وتنتهى المسرحية والفلاح الشاب يخاطب أهل ناحية « ميبو » قائلا : عليكم بركة الله .. لقد حررتم ارادتى أخيرا ، فالحياة كلها الآن وما فيها من متاع ، ملك لى .

ويتهيأ صاحب الحان لشرابه المألوف ، بينما تردد بيجين أصداء لوعتها وندمها على فقد الشاب الذى أثبت فى ساعة المحنة أنه يملك فعلا ما كان ادعى لنفسه من قدرة ومبادأة :

— واها لى .. لقد فقدته حقا . فقدت فتى الغرب المدلل ..

* * *

هذه هى قصة المسرحية التى أثارت أهل دبلن جميعا فى أسبوع عرضها ، وبعد ذلك بمدة طويلة ، وشغلت ثلاثة من

كبار أدباء ايرلندا بالدفاع النشيط عنها : ييتس ؛ وليدى جريجورى وسينج نفسه ، كما أدت الى أن يقاطع مسرح « أبى » كاتب ناجح من كتابه ، وان كان تاريخ الأدب المسرحى لا يذكره بشىء كثير الآن ، وهو وليم بوبل ، الذى كان ابان هذه المعركة مقيما فى لندن ، فأبرق الى المسرح يتبرأ منه ، ويسحب مسرحياته الثلاث الناجحة من قائمة تراثه المسرحى .

تعددت أوجه الاعتراض على المسرحية بتعدد المعترضين . وليم بتلر ييتس وليدى جريجورى أجمعا على أن بها كثيرا من الألفاظ الخارجة . واتفق ييتس مع ليدى جريجورى على أن يحذف المؤلف من النص هذه الألفاظ ، الا أن سينج ، كأى مؤلف يحب عمله ويحترمه ، لم يسمح بحذف ذى بال ، وان كان رضى بعد ضجة العرض الأول بأن يحذف الكثير .

وقال آخرون ان الكلمات مزيفة من ناحية شعبيتها ، وان التراكيب مصنوعة ؛ فرد سينج بأنه لم يخترع كلمات الحوار ، فما من كلمة فيه الا وقد سمعها بنفسه فى أكواخ الفلاحين يوم كان يعيش بينهم فى جزيرة « أران » أو فى طفولته قبل أن يتعلم القراءة . بل ان عددا من الجمل والتراكيب اللغوية قد سمعها بنصها من الصيادين فى كيرى وميو ، ومن الشحاذين

قرب دبلن . وهو سعيد بأن يكون للشعب عليه كل هـذا الدين .

أما الحوادث والقصص التى استخدمها هنـا وفى باقى المسرحيات فان لها رصيدا واضحا من الواقع . ان الحـادثة الرئيسية فى « فتى الغرب المدلل » قد حدثت فعلا فى غـرب ايرلندا . وهنا نصل الى جوهر المشكلة . فان الذى أثار أهل دبلن لم يكن كلمة أو عدة كلمات تخرج على مواضـعات الأخلاق . اذن لكان من الممكن اسكات هؤلاء بحذف هـذه الكلمات أو تغييرها .

انما حقيقة الأمر أن الموضوع كله كان خارجا على ما بدا يومذاك أنه اجماع الوطنيين فى الأمة .

لقد أراد هؤلاء أن يصوروا ايرلندا فى صـورة مثالية تخدم القضية الوطنية ؛ وتكفر عن الصورة المسرحية لايرلندا ؛ التى ظلت متداولة مدة طويلة ، والتى تظهر الايرلندى بمظهر السكير المغامر ، الحالم ، كثير الأقوال ، قليل الأفعال . ان هذه الصورة كانت تؤذى الشعور الوطنى ، فكيف يأتى سينج ويعرض صورة تقربها ، أو هى فى الواقع أسوأ منها . ويعرضها أين ؟ فى المسرح الذى أقيم ليكون رمزا للجهد الوطنى فى حقل الأدب والمسرح ، والذى يرمى الى احياء التراث القومى ،

وتأكيد الشخصية الايرلندية فى مواجهة المستعمر الانجليزى الذى يحاول طمس معالم هذه الشخصية .

من هنا تساءل كثيرون ، وهم لأنفسهم مصدقون : أين فى ايرلندا من يقتل أباه ، ثم يجد من يصفق له ويحتفى به ؟

هل يعقل أن تكون هذه صورة الفلاحات الايرلنديات المكافحات ؟ يتقاتلن من أجل الفوز بقاتل ، ويمطرنه بوابل من الهدايا ، ثم يبكين لفراقه ؟

وماذا يعنى اختيار المؤلف شخصية مثل شخصية كريستى ، تريد القتل ولا تستطيع ، وتنزع ولا تقوى على التنفيذ ؟ أتراه يقصد به تصويرا للشخصية القومية ذاتها ؟

لو كان أراد هذا فعلا « فان اليد لن تخطىء طريقها للسيف » ، كما قال محرر « الايفننج ميل » .

والواقع أن هذا بالضبط هو ما أراده المؤلف .

لقد تخبط سينج فى دفاعه عن مسرحيته ، وأدلى بآراء متناقضة فى تفسيرها فهو فى ابان اشتداد المعركة قد أنكر أن يكون لها معنى جاد لا يحتمله تركيبها . هى فى رأيه مستحيلة الحدوث تعتمد على المبالغة . انها اكسترافاجنزا . وماذا فى هذا ؟ أليست « دون كيخوته » كذلك ؟ .

ثم عاد من بعد وخفف من حدة هذا التصريح فى رسالة الى صحيفة : « ايرش تيمز » فقال انها ليست مسرحية « ذات هدف » بالمعنى المفهوم الآن من الكلمة ، صحيح أن أجزاء منها تعتمد ، أو يقصد بها أن تعتمد ، على كوميديا الاكسترافاجانزا ، الا أن أكثر أجزائها شديد الجدية لو نظرنا اليه من وجهة نظر خاصة . وهذا غالبا هو حال الكوميديا . فليس اليوم من يستطيع أن يقرر ما اذا كان شيلوك والسست دورين جادين أو فكاهيين . لهذا اسمحوا أن أومىء الى أن « فتى الغرب المدلل » مسرحية متعددة الجوانب .

ثم كتب سينج من بعد الى صديقه العزيز ماكينا يقول : ان قصة المسرحية فى جوهرها معقولة ، وحوادثها تحتمل الحدوث فى الاطار النفسى الذى تصفه المسرحية وتضفيه على أهل الناحية . وأضاف انه كان جديرا أن يكتب المسرحية لو أن فكرتها خطرت له ، حتى بصرف النظر عن أن حوادث مشابهة لها قد حدثت فى جزيرة آران . انما هو ذكر حادثة آران كى يسكت النقاد الذين زعموا أنها مستحيلة الحدوث .

وأخيرا كتب سينج فى رسالة مشهورة عنوانها « خطاب الى شاب » بتاريخ ١٩ فبراير ١٩٠٧ يقول : اننى أوافق بكل اخلاص على كثير جدا مما قلته عن المسرحية ، وخاصة حين

تقرر أنها قطعة من الحياة ، كتبتها وأنا غير آبه ما اذا كانت كوميديا أم تراجيديا أم اكسترافاجنزا ؛ وما اذا كان لها أو ليس لها هدف . وأيضا حين تقول بتدقيق شديد انها تشبه مرآة شكسبير . ثم انك فى ذات الوقت قد تبينت ما هو عسير علىّ أن أقنع به أهل دبلن ؛ وهو أن الطبع الوحشى الذى يتميز به فلاحو ايرلندا ، شأنه شأن صفاتهم الحميدة المتعددة التى تفوق المألوف ، مصدره تنوع وغنى طبيعتهم — وهذه ميزة لا يعدلها شىء فى الوجود .

لو غربلنا هذه التصريحات والرسائل بدقة فيستخلف لنا شىء واحد بعينه ، وهو أن سينج قد كتب هذه المسرحية بالصورة التى وصلت بها الينا بعد تدبر وتفكير طويلين . فهى لم تأت خبط عشواء ، وانما هو قصد بها شيئا بذاته أصر عليه ولم يتزحزح عنه . وأقرب دليل على هذا ؛ حكاية النهاية التى اقترحها عليه جورج مور والتى طلب فيها أن يزوج سينج البطل من البطلة بتحريض من الأب العجوز ، الذى استمالته ثروة الفتاة ؛ ذلك أنه — كما قال مور — ليس أمرّ على الفلاح من أن يخرج ماله من بين يديه . لهذا فما أن يتبين العجوز ثروة الفتاة حتى يقرر أن يستولى عليها ، فينسى جراحه ويقول : لم يغلبنى أحد فى هذه الدنيا ، ولن يغلبنى

أحـد قط الا ابنى » . وبهذا تتأكد بطولة الشاب ، ويفوز بالعروس الغنية ، ويبقى المال فى الأسرة .

لقد رفض سينج هذه النهاية المقترحة ، وذكر فى رسالة رد بها على مور أنه لا يستطيع تغيير الفصل الثالث ، فانه كتبه وأعاد كتابته ثلاث عشرة مرة ، حتى انتهى الى صورته الحالية .

بل اننا نعـرف من بعض مذكرات سـينج كيف خطط المسرحية بادىء ذى بدء وأسماها : « القاتل » . ان أحـد الفروق الجوهرية بين النصوص الأولى للمسرحية وبين نصها النهائى هو موقف المؤلف من بطله كريستى .

فى النصوص الأولى يفضح الأب ابنه ويصرخ فى وجهه : « انك كذاب أشر » فينكشف جبن الابن ، ويخرج مدحورا مكسورا ، وهو الذى كان قد انتخب لتوه عضوا فى مجلس المقاطعة جزاء بطولته .

وقد رأينا كيف تغير هذا الموقف فى النص النهائى ، وكيف ثار كريستى على استبداد أبيه وعلى ضيق أفق أهل ناحية ميو فى ذات الوقت .

فاصرار سينج على التزام هذه الخاتمة ، رغم تحذير مور له بأنها خاتمة غير كوميدية ، فضـلا عن أنها مناقضة لتيار الحوادث — هذا الاصرار يدل على أن سينج ، حين كتب

النص النهائى لمسرحيته ، كان قد استقر على ما يريد أن يقوله للناس من خلالها .

وكان هذا الذى استقر عليه شيئا مرّا حقّا ، زاد من مرارته فى خلوق أهل دبلن أن سينج خبأه فى غلاف قوى من الضحك . ولكنه ضحك مرير .

قال سينج لأهل ايرلندا : ان مجتمعكم القروى مجتمع فاسد . انه ضيق ، متعنت ومتحجر . انه مجتمع زائف منافق . الأب فيه يكتم أنفاس الابن حتى لا يجد الجيل الجديد فيه خلاصا الا عن طريق القتل .

ثم انكم تكيلون الأعمال بكيلين . اذا ارتكبت جريمة فى ناحية ما ، نائية عنكم ، فلا بأس ؛ ما دامت ستتحول الى قصة بطولية تسليكم ، وأغنية شاعر تطرب لها آذانكم فى ليالى الشتاء الطويلة .

أما اذا دق القتل أبوابكم ، فهنا فقط تصحو ما تسمونها ضمائركم — والواقع أنه احساسكم بالخوف ، وجبنكم ، وفزعكم من العقاب .

ومجتمعكم — الى هذا — مجتمع أجوف ، عاطل من المثاليات . انظروا الى الأب يبيع ابنه بيعا لعجوز شارفت على

الموت ، لا يأسف لشبابه ، ولا يأبه براحته الشخصية ، ما دام في الكفة الأخرى من الميزان ثروة العجوز وما تعد به من طمأنينة ولذات .

أنتم جميعا تقتلون آباءكم بالتمنى ، ولا تجسرون على القتل في الواقع . وما تمسككم بالقانون الا رغبة مختفية في الانتقام من رجل تخطى التمنى الى التنفيذ .

وقد لا يكون رجل قتل أباه أو هدد بقتله بطلا يستحق التمجيد ، ولكنه « البطل » الوحيد الذي يقدر مجتمعكم العاجز على ولادته .

انها البطولة التي يلدها الكبت والحرمان .

* * *

مثل هذه الحبة المرة كان برنارد شو قد حاول في مسرحيته « بيوت الأرامل » و « مهنة ميسز وارين » أن يدفع بها في حلوق متفرجيه . وكانت النتيجة هرج ومرج واحتجاج وهتاف ، تراوح بين السخط والتأييد في حالة المسرحية الأولى .

أما المسرحية الثانية فقد رفض الرقيب اجازتها أصلا ، وظل مصرا على رفضه ثلاثين عاما متصلة .

ذلك أن شو في المسرحيتين يستخدم التكنيك ذاته الذي استخدمه مواطنه الايرلندي سينج فيما بعد ، حين جعل من

ممثليه أصابع اتهام تقول للناس بأسرهم : اذا كنا لصوصا ، أو بغايا ، أو قتلة فأنتم من جعلتمونا كذلك .

وهذا درس لا ينفع فى حجب مرارته ما شئت من ضحكات ونكات .

بل ان الضحك نفسه ليرتد معه مرا ، عسيرا على القبول .

* * *

قارن البعض بين شخصية كريستى ميهون وبين شخصيتى دون كيخوته وبيرجينت على اعتبار أن الشخصيات الثلاث هى رموز للقوميات الأسبانية والنورويجية والايرلندية .

وفى رأيى أن المقارنة تنتهى عند حد ذكر الثلاث فى معرض واحد . فانه لا سبيل للقياس بين عظمة دون كيخوتة أو بيرجينت وبين كريستى ميهون .

ان الأخير ليبدو ضئيلا اذا قيس بالعملاقين . انه شخصية ايرلندية ، مرسومة بدقة ورعاية ، ولكنها لا تتخطى أبعاد الوطن الايرلندى لتصبح نموذجا عالميا .

وقد يكون مرد هذا الى أن ما أحسه سينج فى عمله هو مجرد الضحك الممزوج بالغضب . وهذا مزاج لا ينتج وحده الفن الكبير .

أين من هذا المزاج التردد الذى يهز النفس بين الضحك والرثاء ؟

اننا نضحك من بير ودون كيخوته ونأسى لهما ، فتهتز نفوسنا وتتبين أن ثمة رابطة تربطنا بالبطلين . اننا فى أعمق أعماقنا بير أو كيخوته .

أما كريستى ، فقد نضحك منه ، أو نعطف عليه أحيانا ، ولكنه لا يهزنا قط — لا يهزنا من الأعماق على أية حال .

على الراعى

أشخاص المسرحية

كريستوفـر ماهـون
العجوز ماهـون
أبوه ، مالك أرض بوضع اليـد .
مايكل جيمس فليرتى
ويدعى مايكل جيمس صاحب خمارة .
مرجريت فليرتى
وتدعى بجين مايك ــ ابنته .
الأرملة كوين
امرأة فى حوالى الثلاثين .
شون كوخ
ابن عمهـا ، فلاح شاب .

نيللى كولـن } من صغار الفلاحين
جيمى فاريل }

سـارا تانسـى }
سـوزان برادى } فتيات قرويات
أونـور بليـك }

خـادم فنـدق
بعض القـرويين

« تجرى حوادث المسرحية قرب قرية تقع على شـاطىء « مايو » الموحش . الزمن فى الفصل الأول : احدى أمسيات الخريف ، وفى الفصلين الثانى والثالث اليوم التالى » .

فتى الغـــرب المـــدلل

الفصل الأول

المنظر :

« خمارة ريفية ، تبدو عليها مظاهر الفوضى والخشونة الشديدة . الى اليمين .. بار (مقصف مرتفع) تعلوه أرفف تحمل الكثير من الزجاجات والأباريق . قرب البار براميل فارغة . فى الخلف الى يسار البار قليلا ، باب يؤدى الى الخارج ، ثم الى اليسار أريكة فوقها أرفف عليها مزيد من الأباريق ، ومائدة تحت نافذة . الى يسار المسرح مدفأة كبيرة مكشوفة ، يحترق فيها الوقود ، ثم باب صغير يؤدى الى حجرة داخلية .

« بجين » فتاة جميلة فى حوالى العشرين من عمرها ، رغم ما يبدو عليها من برية فى مظهرها ، جالسة تكتب على المائدة مرتدية ثوب القرويات المعتاد .

بجـــين : (ببطء وهى تكتب) ست ياردات من القماش لحياكة فستان أصفر . زوج من الأحذية طويلة الرقبة بأربطة وكعبين عاليين ، وثقوب نحاسية صفراء . قبعة مما يلبس يوم الزفاف . مشط ذو أسنان رفيعة . كل هذه الأشياء يجب أن ترسل مع ثلاثة براميل من الجعة الســـوداء فى عربة نقل جيمى فاريل ، مساء يوم السوق

القادم ؛ الى السيد / مايكل جيمس فليرتى ، مع أطيب التمنيات بهـذا الموسم ، مرجريت فليرتى .

شون كوخ : (شاب وسيم ، ممتلىء الجسم ، يدخل وهى توقع الخطاب ؛ وينظر حوله باستنكار عندما يراها بمفردها) . أين هو ؟ .

بچـين : (دون أن تنظـر اليه) انه قادم . (تعنون الخطاب) الى السيد شيموس مولروى تاجر نبيذ ومشروبات روحية . كاسل بار .

شون : (بقلق) اننى لم أره فى الطريق .

بچـين : وكيف كان يمكنك أن تراه (تلعق طابع البريد وتلصقه على الخطاب) وقد أطبقت علينا الظلمة من نصف ساعة ؟

شون : (متجها ناحية الباب ثانية) لقد وقفت برهة بالخارج ، متسائلا عما اذا كان يحق لى أن أمضى فى سبيلى ، أو أن أدخل لأراك ، يا بچين مايك (يقترب من النار) وكان النسيم قد هدأ تماما وركدت الخطى فى المكان كله من هـذه

البوابة حتى الجسر ، حتى لقد سمعت تنفس الأبقار وتنهدها ..

بجين : (تضع الخطاب فى المظروف) انه هناك ، عند مفترق الطرق ، لمقابلة فيللى كولن حيث سيذهب ومعه اثنان آخران للسهر على جثمان كيت كاسيدى .

شون : (بنظرة زائغة) وهل سيقطع كل هذه المسافة فى ظلام الليل ! ..

بجين : (بضجر) بالتأكيد ، ويتركنى وحيدة على السفح الخلفى للتل (تنهض وتضع المظروف على المائدة ، يسمع أزيز الرياح) ألا تبدو الليالى طويلة ، يا شون كوخ ؛ على فتاة بائسة ، تركت وحيدة تجتر همومها ، وتعد الساعات حتى طلوع الفجر ؟

شون : (مداعبا) اذا كان الليل يطول الآن على هذا النحو ، فقريبا تتزوج ، واذ ذاك لن يكون لديك محل للشكوى ، لأنى لا أميل كثيرا الى السعى فى ظلام الليل للسهر على الموتى أو حضور الأفراح .

بچين : (فى بشاشة يشوبها شىء من السخرية) انك تبدو كما لو كنت على تمام الثقة ، يا شانين ، من أننى سأتزوجك .

شون : ألسنا الآن نحسن صنعا اذ ننتظر هذه الأيام ، آملين فى حصول الأب ريللى على موافقة الأساقفة أو البلاط الكنسى فى روما ؟

بچين : (تنظر اليه تريد اغاظته وهى تغسل على المنضدة) انه لشىء يدعو للعجب ، يا شانين أن يأبه قداسة البابا بأمثالك ، لأننى لو كنت مكانه ، لما اهتممت بمكان كهذا ، لا يجد المرء فيه الا أمثال « ريد ليتان » بعينه الحولاء ، و « باتشين » وهو يخجل فى أعقابه ، أو آل « ميلران » الحمقى الذين قدموا من كاليفورنيا وقد شملهم الغباء . اننا لو أزعجنا قداسة البابا فوق كرسيه المقدس ، بأموزنا التافهة هذه ، فلن تكون الا جماعة من الحمقى .

شون : مهما يكن أمرنا ، فان هذا المكان يساوى غيره فى نظرنا ، وحالنا الآن ربما لم تسؤ قط عن ذى قبل .

بجين : (باستخفاف) على ما يرام ! أحقا ؟ أين تجد أشباه « دانين سوليفان » الذى ضرب أحد رجال البوليس على عينه فأطاح بها ، أو « ماركس كوين » طيب الله ثراه ، ذلك الذى ظل ستة أشهر يكسر أطراف النعاج ، وكل همه أن يحكى قصص ايرلندة المقدسة ، حتى تسيل دموع العجائز ، وتنهمر عند أقدامهن . أين يمكنك أن تجد أمثال هؤلاء .. أقول لك ؟ !

شون : (فى حياء) اذا كان هؤلاء ، لا يوجدون الا هنا ، فلعل هذا من حسن الحظ ، (يضغط على الكلمات بايحاء خاص) ليس مما يرضى الأب ريللى أن يدع أمثال هؤلاء يتجولون ويتحدثون الى الفتيات .

بجين : (بضجر ، وهى تقذف الماء من الحوض الى خارج الباب) كف عن تعذيبى بذكر الأب ريللى (مقلدة صوته) كل ما أسألك هو أن تدلنى على طريقة أمضى بها هذه الساعات

الاثنتى عشرة من الليل ، دون أن أموت من الخوف (تنظر خارج الباب) .

شون : (فى حيـــاء) ربمـا تفضلين أن أحضر لك « الأرملة كوين » ..

بچـــين : وهل أرضى بسفاحة كهذه ؟ .. لا أسمح لك بالتأكيد .

شون : (متجها اليها — مهدئا) حينئذ ، لا مفر من أن أبقى معك ، ما دمت خائفة كل هذا الخوف ، لأن أمامـك الآن ليلة طويلة حالكة الظلام ، ولدى شعور بأن هناك شخصا ما ، عند الخندق المعشوشب ، يئن أننا مزعجا كالكلب المسعور ولعل هذا يبرر ما تشعرين به الآن من خوف .

بچـــين : (ملتفتة اليه فى حدة) ما هذا ؟ هل رأيت رجلا حقا ؟ ..

شون : (متراجعا) لم أتمكن من رؤيته بالمرة ، ولكنى سمعته يئن ويمزق قلبه ، ويبدو من الكلمات التى كان يتفوه بها أنه شاب .

بچـــين : (تتبعه) .. ألم تقترب منه ، لترى ما اذا كان مصابا أو ماذا كان يسبب له الألم ؟ ! ..

شون : لم أقترب يا بچين مايك ، لقد كان الليل حالكا ، والمكان مهجورا لا يشجع على الالتفات الى مثله .

بچين : عظيم ! .. يالك من فتى شجاع ! ؛ وهب أنهم وجدوا جثته ، مطروحة فى ذاك المكان ، تحت ندى الفجر ، فماذا ستقول حينئذ لرجال البوليس أو أمام قضاة التحقيق ؟ ..

شون : (مأخوذا) لم أفكر فى ذلك ؛ أستحلفك بالله ، يا بچين مايك ، لا تخبرى أحدا بأنى حدثتك عنه .. لا تخبرى أباك ، ولا أحدا من القادمين معه لأنهم إذا سمعوا تلك الحكاية ، فلن يملوا الثرثرة حولها هذه الليلة وهم ملتفون حول الجثمان .

بچين : قد أخبرهم ، وقد لا أخبرهم ! ..

شون : انهم الآن على عتبة الباب ، اسكتى ، أرجوك ، هل تسمعيننى ؟ ! ..

بچين : أسكت أنت ..

(تذهب خلف الباب ـ يدخل « مايكل جيمس » صاحب الخمارة . وهو بدين مرح ، يتبعه « فيلبى كولن » وهو نحيف

شون كوخ ، انها ارادة الله ، فيما أرى أن يرعاك منذ الآن .

(يلتفتون جميعا الى شون) .

شون : (فى ارتباك ورعب) انى أود ، وأرحب بالبقاء ، يا مايكل جيمس ، ولكنى خائف من الأب ريللى ، وما يمكن أن يقوله قداسة البابا ، وكرادلة روما فى النهاية ، اذا سمعوا أنى فعلت مثل هذا الأمر ؟

مايكل : (باحتقار) كان الله فى عونك ! ألا تستطيع أن تجلس هنا بجوار المدفأة والنور مضاء ، وهى هناك فى حجرتها ؟ انك تستطيع أن تفعل ذلك ، بكل تأكيد ، لأنى سمعت أن هناك انسانا غريبا ، عند منحدر القناة ، فى طريقه الى الجنون وربما الى الموت ، ولذلك فانها ستكون أكثر أمنا هذه الليلة اذا وجد معها شخص ما .

شون : (فى يأس محزن) انى خائف من الأب ريللى ، أتسمعنى ؟ !

لا تحاول اغرائى ونحن على وشك أن نصبح زوجين .

تيلل : (باحتقار وبرود) أدخله فى الحجرة الغربية ، وأغلق بابها عليه ، حينئذ ، سيبقى بها ، دون أن يرتكب خطيئة ما يضطر الى الاعتراف بها للقسيس .

مايكل : (الى شون — حائلا بينه وبين الباب) اصعد الآن الى الحجرة .

شون : (بأعلى صوته) لا تقف فى طريقى يا مايكل جيمس . دعنى أخـرج . أتسمعنى أستحلفك بالله العظيم . دعنى أخرج (محاولا أن يتسلل منه) دعنى أخرج من هنا ، وليـُعنك الله ، فى وقت الشدة .

مايكل : (بصوت مرتفع) كف عن ضوضائك ، واجلس بجوار المدفأة . (يدفعه ، ثم يذهب الى البار ضاحكا) .

شون : (راجعا وهو يفرك كفيه) أيها الأب ريللى ، أيها القديسون ، أين سأخبىء نفسى اليوم ؟ أوه ! أيها القديس جوزيف ، والقديس باتريك

والقديس بريجيد والقديس جيمس ، فلتنزلوا الآن رحمتكم على !

(يدور حول نفسه حتى يرى الباب بوضوح ، فيندفع نحوه) .

مايكل : (ممسكا به من ذيل سترته) تريد الخروج ، أليس كذلك ؟

شون : (صائحا) دعنى أذهب ، يا مايكل جيمس ، دعنى أذهب ، أيها الوثنى العجوز دعنى أذهب والا فسأستنزل عليك لعنة القساوسة ، ولعنة أساقفة البلاط الكنسى فى روما ، ذوى السترات القرمزية .

(وبحركة مفاجئة ، يندفع خارجا من سترته ، ويختفى خارج الباب ، تاركا سترته بين يدى مايكل) .

مايكل : (دائرا حول نفسه ، وهو رافع السترة) عظيم ! ها هى سترة رجل مسيحى . يا للعجب ! ان هناك مجدا مقدسا قد تحقق اليوم فى الغرب الموحش ، فلقد حصلت لك ، يا بچين ، بارادة الله ، على رجل رائع ! وحتى اذا كان عندك

عشرون بنتا ، يجمعن الأعشاب فى حقولك ،
فلن تضطرى الى مراقبتهن خلسة .

بچين : (مدافعة عن شون) بأى حق ، تهزأ من رجل مسكين ، لا لشىء ، سوى أنه يخشى القسيس ، فى حين أن الغلطة ، غلطتك أنت ، لأنك لا تريد أن تدفع أجـــر أى مساعد ليقف بجانبى ، ويمنحنى الشجاعة فيما أقوم به من عمل .

(تخطف السترة منه ، وتذهب بها خلف البار) .

مايكل : (مندهشا) أين يمكننى أن أجد مثل هـذا المساعد ؟ ..
هل تريدين أن أرسل لك مناديا لكى يصيح فى شوارع « كاسل بار » ؟ ..

شون : (يفتح الباب فتحة صغيرة ويطل برأسه منها ، ثم يقول فى صوت ضعيف) مايكل جيمس ! ..

مايكل : (وهو يقلده) ما الذى أصابك ؟ ! ..

شون : ان الشخص الغريب الذى قلت انه يموت ، يتطلع فى الخلف ، من فوق القناة ، وأعتقد أنه صعد ليسرق دجاجاتك (ينظر من فوق كتفه)

فليساعدنى الله ، انه يتبعنى الآن ، (يجرى الى داخـل الغرفة) واذا كان قد سمع ما قلته ، فسيقضى علىّ لا محالة ، وأنا ذاهب فى ظلمة الليل وحدى ، فى طريقى الى منزلى .

(يلبثون لحظة ، يرقبون الباب فى فضول . يسعل شخص ما بالخـارج ، وحينئذ يدخل كريستى ماهون ، وهو شاب صغير الحجم ، متسخ الثياب كثيرا ، خائف ومجهد)

كريستى : (فى صوت ضعيف) رعاكم الله جميعا !

الرجال : رعاك الله برحمته !

كريستى : (متجها الى البار) هل أزعجك يا سيدتى ، بطلب قدح من الجعة ؟ !

(يضع أمامها النقود)

بجـين : (وهى تعد له الشراب) أأنت ، أيهـا الشاب الصغير واحد من السمكرية الذين نصـبوا خيامهم خلفنا فى الوادى الضيق ؟ ..

كريستى : لست منهم ، وانما حطمنى المسير .

مايكل : (يضعه تحت حمايته) تعال اذن الى جـوار المدفأة لأنك تبدو منهوك القوى من البرد .

كريستى : جزاك الله خيرا . (يأخذ قدحه ثم يتجه الى اليسار قليلا ، وحينئذ ، يقف وينظر حوله) أيها السيد ، هل يتردد رجال البوليس كثيرا ، على هذا المكان ؟

مايكل : لو أنك جئت فى وقت مناسب ، لرأيت هذه الكلمات « مرخص له ببيع الجعة والمشروبات الروحية ، لتعاطيها داخل المحل » مكتوبة بحروف بيضاء فوق الباب ، وأى شىء آخر يريد رجال البوليس أن يعرفوه عنى ؟ انه لا يوجد فى مدى أربعة أميال نزل آخر محترم ، يقصده كل مسيحى فى اطمئنان ، اللهم الا نزل واحد تديره أرملة ؟

كريستى : (باطمئنان) اذن ، فهو نزل مأمون ؟

(يذهب الى المدفأة وهو يتنهد ويتأوه ، ثم يجلس ويضع قدحه بجواره ، ويبدأ فى قضم قطعة من اللفت وهو من فرط تعاسته لا يشعر بالآخرين يتطلعون اليه فى فضول) .

مايكل : (يتبعه) هل أنت خائف من رجال البوليس ؟ لعلك مطلوب القبض عليك ؟

كريستى : هناك كثيرون ، مطلوب القبض عليهم .

هايكل : كثيرون ، بكل تأكيد ، بعد أن فسد علينا الحصاد ، وعقب انتهاء الحرب . (يلتقط بعض الجوارب ، وأشياء أخرى ، ملقاة بجوار المدفأة ، ويخفيها بعيدا) .. لابد وأن تكون سرقة ، فيما أعتقد ؟

كريستى : بل أعتقد أنها كلمة أخرى ، أكبر من السرقة !..

بيجين : يا له من فتى عجيب . ألم يضربوك أبدا فى المدرسة ، أيها الفتى ، لدرجة أنك لا تعرف اسم ما فعلت ؟

كريستى : (بخجل) أنا بطىء التعلم ، مجرد تلميذ متوسط الشأن .

هايكل : حتى اذا كنت الجهل نفسه ، فلابد لك أن تعلم أن السرقة هى السلب والنهب ، هل أنت مطلوب القبض عليك لأى شىء من هذا القبيل ؟ ..

كريستى : (بفخر) وأنا .. ابن فلاح قوى ، (فى ألم مفاجىء) رحمه الله ، كان يستطيع أن يشترى بما يتبقى فى جيبه الخلفى من نقود ، منزلك

العريق هذا ، بكل ما فيه ؛ ثم لا يشعر من بعد بأنه أخرج من جيبه شيئا .

مايكل : (مأخوذا) اذا لم تكن سرقة ، فلعلها شيء أكبر ..

كريستى : (مغترا) نعم ، لعلها شيء أكبر ..

جيمى : انه شاب ، يبدو عليه الشر ، ولعله اقتفى أثر شابة فى ليلة موحشة .

كريستى : (مذعورا) لا يا سيدى ، ماعاذا القديسين ، لقد كنت دائما شابا مهذبا .

مايكل : (مهاجما جيمى) أنت رجل أحمق ، يا جيمى فاريل لقد قال منذ قليل ان أباه كان فلاحا ، وها هو ذا أمامك الآن ، فى حالة يرثى لها . ربما انتزعت منه الأرض ، ففعل ما يمكن أن يفعله كل رجل كريم العنصر !

مايكل : (الى كريستى ، بغموض) هل حجـــز عليها المحضرون ؟

كريستى : أبدا ..

مايكل : أهم السماسرة ؟

كريستى : لا ؛ مطلقا .

مايكل : أهم ملاك الأرض ؟

كريستى : (فى ضيق) أو ! قلت لك ليس هؤلاء أبدا ، هذا الذى تذكره تستطيع أن تقرأ مثله فى أى جريدة صغيرة تظهر فى مدينة « مونستر » ولكنى لا أذكر أن أى شخص بالذات ، قد فعل مثلما فعلت ، سواء كان عظيما أو من البسطاء ، وقاضيا كان أو من هيئة المحلفين .

(يقتربون منه جميعا ويتطلعون اليه فى فضول مسرورين) .

نيللى : عظيم ! .. هذا هو الفتى الذى حير العالم .

جيمى : انه يستطيع أن يقهر سيرك « دان ديفيز » ، أو يصرع المبشرين الظاهرين الذين يلقون مواعظهم عن شرور الانسان . حاول معه مرة أخرى يا نيللى .

نيللى : هل زيفت جنيهات ذهبية ، أو حتى شلنات أيها الشاب .

كريستى : لم أزيف شيئا يا سيدى ، ولا ستة بنسات ، ولا حتى مجرد عملة صغيرة .

جيمى : لعلك اذن تزوجت ثلاث زوجات ؟ فلقد سمعت

أن أحد أتباع « لوثر » الطاهرين الذين يعظون الناس فى المنطقة الشمالية ، قد فعل ذلك .

كريستى : (بمرح) انى لم أتزوج واحدة حتى الآن ، فما بالك باثنتين أو ثلاثة ! ..

مايكل : ربما ذهب يحارب مع « البـــوير » كما فعل الرجل الذى كان يقطن خلف النزل ، فحكم عليه بالشنق ، وسحبت جثته بعد قطعها أربعة أجزاء .. أتراك رحلت بعيدا الى الشرق أيها الفتى ، لتشارك فى الحروب الدامية مـــع « كروجر » من أجل حرية « البوير » ؟

كريستى : لم أبعد عن قريتى أبدا ، الا يوم الثلاثاء من الأسبوع الماضى .

بجـــين : (آتية من خلف البار) اذن فهو لم يفعل شيئا .. (الى كريستى) اذا كنت لم ترتكب جريمة قتل ، ولا أى شىء شرير أو ردىء ، ولم تزيف النقود ، ولم تسرق ، ولم تسفح دم انسان ، أو أى شىء من هذا القبيل ؛ فلا يوجد أى شىء ، يدعوك الى الهرب . أنت لم تفعل أى شىء بالمرة .

كريستى : (متأذيا) ما أقسى أن تقال مثل هذه الكلمات ، لمسافر يتيم مسكين ، السجن وراءه ، وحبل المشنقة أمامه ، ومن تحته هاوية الجحيم ! ..

بچين : (وهى تشير الى الرجال أن يسكتوا) أنت فحسب الذى تقول انك فعلت شيئا . أنت لم تفعل أى شىء بالمرة .
ان فتى رقيقا مثلك لا يستطيع أن يقطع رقبة خنزيرة صغيرة .

كريستى : (مجروحا) أنت لا تقولين الحقيقة .

بچين : (فى هياج مفتعل) لا أقول الحقيقة ، أليس كذلك ؟ هل تسمح لى أن أضرب رأسك بيد المكنسة ؟

كريستى : (يلتوى دائرا حولها وهو يصرخ صرخة حادة ، من الرعب) لا تضربينى ! فقد قتلت والدى المسكين لأنه فعل مثل هذا فى يوم الثلاثاء من الأسبوع الماضى ..

بچين : (فى ذهول تام) أو قتلت أباك اذن ؟ ..

كريستى : (مسلما) انها ارادة الله ، لقد قتلته بكل تأكيد ، ولتشفع له العذراء الطاهرة .

فيللى : (متقهقرا مع جيمى) ياله من فتى شجاع !

جيمى : أوه ! المجد لله ! ...

مايكل : (باحترام عظيم) انها جريمة عقابها الشنق ، يا صغيرى العزيز ، ولابد أن كان لديك سبب قوى لارتكابها .

كريستى : (باتزان) لقد كان — سامحه الله — رجلا قذرا ، كلما تقدم به العمر زادت شراسته ، حتى ضقت ذرعا بتصرفاته .

بچين : وهل قتلته بالرصاص ؟

كريستى : (يهز رأسه) أنا لم أستعمل الأسلحة مطلقا ، فليست لدى رخصة ، وأنا رجل أحترم القانون ! ..

مايكل : لعلك اذن قتلته بخنجر ؟ فقد قيل لى أنهم فيما وراء بلدتنا يستعملون الخناجر القاتلة .

كريستى : (شاعرا بالعار — بصوت مرتفع) هل أبدو لك كصبى جزار ؟

بچين : أنت لم تشنقه قطعا ، كما شنق جيمى فاريل كلبه من الرخصة ، وتركه معلقا من طرف الخيط ، ثلاث ساعات وهو يصرخ ، ويتلوى ،

وقد كان هو يقسم أنه كلب ميت ، ورجال البوليس يقسمون أنه كان حيا ؟ ! ..

كريستى : لا ، لم أشنقه ، لقد رفعت الجاروف فحسب ، وتركت حافته تسقط على أم رأسه ، فسقط عند قدمى ، كالزكيبة الفارغة ، دون أن يصدر منه أى صوت .

مايكل : (يشير الى بچين لتملأ قدح كريستى) وكيف حدث أيها السيد ، انك لم تشنق ؟ هل دفنته على الفور ؟ ..

كريستى : (مترويا) نعم ، دفنته على الفور . ألم أكن أقتلع الحشائش من الحقل بالجاروف ؟

مايكل : ولم يتبعك رجال البوليس طيلة الأحد عشر يوما التى هربت فيها ؟ ..

كريستى : (يهز رأسه) لم يتبعنى أحد منهم ، بينما كنت أتقدم فى الطريق أواجه كل صنوف الأحياء بين خنزير وكلب وحتى الشيطان نفسه !

نيللى : انما يتعرض رجال البوليس للقتلة العاديين أما هذا الرجل فلابد أن يكون مخيفا حينما تثور أعصابه .

مايكل : لابد أن أعصابه كانت ثائرة حينـذاك (الى كريستى) وأين تراك ، يا صغيرى العزيز ، ارتكبت فعلتك ؟

كريستى : (ينظر اليه بشك) أوه ، فى مكان بعيد ، أيها السيد ، هناك فى ركن مرتفع من التـــلال البعيدة ، تحوطه الرياح ..

نيللى : (يحنى رأسه مسلما) انه رجل كتوم ، وهو على حق ، بكل تأكيد .

بچـــين : هذا هو فتى فى حكمة سليمان ، جدير بأن يكون مساعدا يا مايكل جيمس ، اذا كنت تبحث حقا عن مساعد .

نيللى : ان رجال البوليس يخافون منه ، واذا استأجرت هذا الفتى ، فلن يجرؤ واحد منهم على التجسس حـول النزل حتى ولو عربدت الـــكلاب ، واحتست أردأ أنواع الأنبذة علنا ، من كومة الروث فى فناء الدار .

جيمى : ان الشجاعة كنز فى مكان مهجور ، وأعتقد أن فتى يستطيع أن يقتل أباه يمكنه أن يواجـه

أمكر الشياطين ولو كان منتصبا فوق قمة الجحيم وفى يده حربة .

بچين : تلك هى الحقيقة واذا بقى هذا الفتى معى ، فلن يخيفنى الجنود الفاجرون قاطعوا الرقاب ، ولا الموتى الخارجون من القبور .

كريستى : (ينتفخ فى دهشة يخالطها شىء من الزهو) عظيم ! المجد لله !

مايكل : (باحترام) هلا فكرت ، يا صغيرى العزيز ، أن تظل معنا هنا وتعمل مساعدا اذا أعطيناك أجرا مجزيا ، ولم نكلفك أكثر من طاقتك ؟

شون : انه لفتى غريب الشأن هذا الذى تسمحون له أن يخالط فتاة هادئة ، محترمة كبچين مايك .

بچين : (بحدة) ألا تسكت ؟ من الذى وجه اليك الحديث ؟

شون : (متراجعا) سفاح تلوث يديه الدماء مثل ..

بچين : (تصرخ فيه بحدة) اسكت ، ألم تسمعنى ! لسنا فى حاجة أبدا الى سماع سخافاتك (الى كريستى فى صوت معسول) وأنت يا زميلى

الصغير ، أعتقد أن من الصواب أن تبقى معنا ، لأننا لن ندخر وسعا فى سبيل ارضائك .

كريستى : (وقد أخذته الدهشة) وهل سأصبح آمنا هنا من أعين البوليس ؟ ..

مايكل : ستكون آمنا . بالتأكيد ، فما دام رجال البوليس لا يخافونك فستجدهم هنا قوما طيبين مهذبين لا يؤذون أى كلب حقير دون أن يستأذنوا أولا فى دجى الليل البهيم .

بچين : (بلطف واغراء) على أية حال ، فلتبق معنا بعض الوقت ، ألم يحطمك المسير حتى دميت قدماك وأصبح جسدك كله فى حاجة الى الاغتسال كخراف « ويكلو » ؟

كريستى : (ينظر حوله راضيا) انها غرفة بديعة وما دمت لا تخدعيننى ، فأعتقد أننى سأبقى هنا بالتأكيد .

جيمى : (يهب واقفا) والآن ، بفضل الله ، ستكون فتاتنا آمنة هذه الليلة مع رجل قتل أباه فهو يستطيع أن يدفع عنها الأذى . فهيا بنا ، يا مايكل جيمس ، والا فانهم سيفوزون دوننا بأرقى أنواع الخمور وهم ساهرون على الجثمان .

مايكل : (متقدما مع الرجال نحو الباب) عفوا ، أيها السيد ، فاننا نحب أن نعرف بأى اسم سوف ندعوك ؟ .

كريستى : كريستوفر ماهون .

مايكل : عظيم ، باركك الله يا كريستى ، ولنقضى وقتا مريحا حتى نلتقى ثانية ، عندما تشرق الشمس ، وتصل الى منتصف النهار .

كريستى : باركّكم الله جميعا .

الرجال : باركك الله .

(يخرجون جميعا ، ماعدا شون الذى يتباطأ عند الباب)

شون : (لبچين) هل تريدين أن أبقى معك لأحميك ؟

بچين : (بشراسة) ألم تقل أنك كنت خائفا من الأب ريللى ؟

شون : أعتقد أنه لم يعد هناك ما أخافه الآن من البقاء ما دام هذا الفتى موجودا معك .

بچين : أنت لم تجرؤ على البقاء عندما كانت هناك حاجة اليك ، أما الآن فاخرج سريعا ، فلا توجد حاجة اليك .

شون : ألم أقل لك إن الأب ريللى ..

بجين : اذهب الى الأب ريللى (فى سخرية) ودعه يضمك الى الإخوة المقدسين واترك هذا الفتى لى .

شون : اذا قابلت الأرملة كوين ..

بجين : قلت لك اخرج ، واياك أن تقترب من هذا المكان وتزعجنا بضوضائك (تدفعه الى الخارج بخشونة ثم تغلق الباب) ان هذا الفتى قادر على أن يضنى أرواح القديسين (تتقدم فى نشاط ، ثم تخلع فوطتها وتعلقها فوق النافذة كستار ، كريستى يتبعها بنظرة متهيبا ، وحينئذ تأتى اليه وتكلمه بلطف وبشاشة) تمدد بجوار المدفأة الآن أيها الفتى ، فلابد أنك مجهد من طول المسير .

كريستى : (يخلع حذاءه — وقد عاوده الخجل) انى متعب بدون شك ، فقد كانت الأيام الأحد عشر التى سرتها قاسية وأنا أشق طريقى نهارا وأواجه الزعب ليلا .. ساهرا ..

(يرفع احدى قدميه ويمسك بها متألما من تورمها وهو ينظر اليها فى اشفاق)

بچين : (ترقبه مسرورة وهى واقفة بجواره) أعتقد أن عائلتك كان بها رجال عظماء ، كما يبدو من قدميك الصغيرتين الدقيقتين ، كما أنك تحمل اسما كهذه الأسماء التى تجدها للزعماء وذوى النفوذ الكبير فى فرنسا وأسبانيا .

كريستى : (بفخر) لقد كنا عظماء بلا شك ، نملك الحقول الواسعة ذات الرياح فى أرض « مونستر » الخصبة .

بچين : ألم أقل لك ، فأنت جميل وأنيق أيها الفتى ، ومهيب الطلعة كالنبلاء .

كريستى : (وقد بدت عليه الدهشة والسرور) أنا ؟ ..

بچين : طبعا ، ألم تسمع أبدا هذه الكلمات من الفتيات فى الغرب أو الجنوب ، هناك من حيث أتيت ؟

كريستى : (بمرارة) لم أسمعها ، فان الفتيات فى المنطقة التى شببت فيها ، كاذبات ، حمقاوات .

بچين : اذا كن كذلك ، فلعلك سمعت هذه الكلمات ، خلال الأيام التى جبت فيها البقاع تذيع قصتك على الشابات والعجائز .

كريستى : انى لم أذع قصتى فى أى مكان ، يا بچين مايك ،

حتى هذه الليلة ، ولعلى كنت أحمق حين أسهبت هنا فى الحديث ولكنى أعتقد أنكم قوم طيبون وأنت تحسك فتاة عطوف ، ولهذا ، لم أكن خائفا منكم أبدا .

بچين : (تملأ زكيبة بالقش) لعلك قلت مثل هذه الكلمات وأنت فى طريقك الينا ، فى كل كوخ أو بيت قابلت فيه احدى الفتيات .

كريستى : (ذاهبا اليها — يرفع صوته تدريجيا) لم أقل هذه الكلمات فى أى مكان آخر حتى هذه الليلة ، لأنى لم أر لك مثيلا طيلة الأحد عشر يوما التى جبت فيها العالم ، أطل على خندق منخفض وآخر مرتفع وأنا فى طريقى شمالا أو جنوبا ، أقطع الحقول الصخرية المتناثرة أو أجوس خلال الممرات الموحلة حيث الفتيات بقوامهن اللدن ، والنساء الجميلات وهن يقفزن متضاحكات مع الرجال .

بچين : لو لم تكن مرهقا من طول المسير ، لأفضت فى الحديث معى كما كان يفعل « أوين رو أوسوليفان » أو كشعراء الـ « دينجل باى » ،

فقد سمعت دائما أن الشعراء هم فى مثل طبعك — رائعون ناريون ، سريعوا الهياج عندما تثور أعصابهم .

كريستى : (يقترب منها قليلا) أنت — باركك الله — فى سن الزواج فهل يمسك منى أذى اذا سألتك ، هل تزوجت ؟

بچين : وما الذى يدعونى الى الزواج وأنا ما زلت صغيرة ؟

كريستى : (بلهفة) اذن ، فنحن متشابهان .

بچين : (تضع الزكيبة على الأريكة وتضربها) انى لم أقتل والدى ، وأنا أخاف أن أفعل ذلك الا اذا كنت مثلك يعمينى الغضب ويمزق أعماقى ، لأنى أعتقد أنكما لابد قد تناقشتما بحدة عندما حانت النهاية —

كريستى : (تمتلىء نفسه بالسرور لهذا التسار الذى يدور بينه وبين امرأة للمرة الأولى فى حياته) لم يحدث ذلك بالضبط ، وانما كانت هناك امرأة عنيدة ، هبطت علينا من فوق التل ، فاذا علمت أنه كان رجلا شرسا ، وخاصة حينما

تكون وراءه امرأة عنيدة تحرضـــه دائما ، فلا الشيطان نفسه ولا آباؤه الأربعة يستطيعون أن يحتملوا تصرفاته .

بچـــين : (فى فضول) ألا يثير العجب أننى لم أخشك قط ؟

كريستى : (بكل وثوق بها) حتى ذلك اليوم الذى قتلت فيه أبى ، لم يكن فى ايرلندة كلها من يعرف أى فتى أنا ، فقد كنت أشرب وأتجول وآكل وأنام ؛ مجرد انسان مسكين بسيط ، لا يأبه به أحد .

بچـــين : (تأخـــذ غطاء من الدولاب وتفرشـــه فوق الحشية) لعل الفتيات فقط كن يأبهن بك ، واعتقـــد أنه ممـــا يرضى غرورك أن تلاعب أمثالهن .

كريستى : (يهز رأسه فى بساطة) ليس الفتيات أبدا ، وأنا لا يمكن أن أكذب عليك ، فلم يكن هناك من يأبه بى فى ذلك المكان ســـوى حيوانات الحقول العجماوات .

(يجلس بجوار المدفأة)

بچـــين : (فى خيبة أمل) وأنا التى ظننت أنك كنت تحيا كملك النرويج أو كأحد الأمـــراء الشرقيين (تتقدم منه وتضع على المائدة بعض الخبز واناء من اللبن ثم تجلس بجواره)

كريستى : (يضحك بطريقة تثير الاشفاق) كأحد الملوك ! أهكذا ظننت ؟ ! لقد كنت أكدح وأكد وأحفر وأعدو هنا وهناك دون أن أجد بهجة المـرح أو الرياضة ، اللهم الا حين أنطلق الى الخارج فى الليالى المظلمة لأقتنص الأرانب سرا من فوق التلال . لأنى — وليغفر الله لى — كنت شيطانا فى سرقتها (بكل براءة) ولقد أشرفت عـلى السجن ستة أشهر لأننى حملت مرة شـوكة الروث ورحت أطعن بها سـمكة فى جـدول لا يخصنى .

بچـــين : أو تسمى هـذا رياضة ! وهل من الرياضة فى شىء ، أن تنطلق خارجا فى الليالى الحـالكة الظلام وحيدا ؟

كريستى : هذا ما كان يحدث — كان الله فى عونى . واذ ذاك كنت أشعر بسعادة كسعادة الشمس

فى « يوم القديس مارتن » ، وكنت أرقب الضوء وهو ينسل من الشمال ، أو أرقب رحلة الضباب فى الفضاء .. وأظل هكذا ، حتى أسمع صوت أرنب فأعدو وراءه خلال العشب ، وحينئذ بعد أن أكون قد أشبعت غايتى ، أعود هابطا من فوق التلال ، حيث البط والأوز ممدد ، نائم على صدر الطريق ، وقبل أن أعبر كومة الروث أسمع أبى يغط فى نومه غطيطا عاليا ، غطيط الوحدة ، ذلك ما كان يفعله دائما وهو نائم ، مع أنه وهو صاح لا يكف عن السخط أبدا ، يسب ، ويلعن ، ويقسم بأغلظ الأيمان كأى ضابط يملؤه الغرور .

بچين : فلتشملنا جميعا رحمة الله وعنايته !

كريستى : لابد أن تقولى هذا اذا رأيته وهو منكب على الشراب بالأسابيع ، يستيقظ مع طلوع الفجر ، وربما قبل ذلك ، ويخرج الى الفناء عاريا كشجرة الصفصاف وهى منتصبة تحت ضوء القمر فى شهر مايو . ويظل يرمى الطين فى وجه

النجوم حتى يجعل أناث الخنازير تصرخ وهى تكاد تموت من الخوف .

بچين : لقد جعلتنى أخاف أنا نفسى من هذا الرجل . ألم يكن فى ذلك المكان غيركما أنتما الاثنان فقط ؟

كريستى : ولا واحدا ! رغم أن له أبناء وبنات يجوبون جميعا بلاد العالم وأقاليمه ، وليس منهم حتى هذا اليوم من لا يصب على رأسه لعناته السبع عندما يتصادف أن يستيقظوا ليسعلوا أو يعطسوا فى منتصف الليل .

بچين : (تحنى رأسها) لابد أنكم جمع غريب من الناس ، فلم يحدث أبدا أنى لعنت أبى بمثل هذه الطريقة رغم أنى فوق العشرين عاما .

كريستى : انك كنت جديرة أن تلعنى أبى أنا لو كنت رأيته فهو رجل لم يمنح السلام أبدا لأحد ، الا عندما كان يحكم عليه بشهرين أو ثلاثة أو يحبسونه فى مستشفى المجانين لأنه كان يضرب رجال البوليس ويعتدى على الآمنين ..

(باكتئاب) ملأ حياتى بالمرارة حتى انتهيت منه فى يوم ثلاثاء ، وشججت جمجمته .

بچين : (تضع يدها على كتفه) على أية حال ، فسوف تنعم هنا بالسلام ، يا كريستى ماهون ، ولن تجد أحدا يحاول ازعاجك ، فقد حان الوقت لفتى رقيق مثلك أن ينال حظه الطيب من الحياة .

كريستى : لقد حان الوقت ، بكل تأكيد ، فأنا انسان طيب العنصر بى قوة عظيمة وشجاعة الـ ..

(يطرق الباب شخص ما)

كريستى : (متعلقا ببچين) أوه ! يا لله ! من الذى يطرق الباب فى هذا الوقت المتأخر وأنا فى الآونة الأخيرة فى رعب من رجال البوليس ، ومن الموتى الخارجين من القبور !

(تسمع الطرقات ثانية)

بچين : من هناك ؟

صوت : (من الخارج) أنا .

بچين : من أنت ؟

صوت : الأرملة كوين .

بچـــين : (تهب واقفة وتعطيه الخبز واللبن) هيا ، تناول عشاءك الآن وتظاهر بالرغبة فى النـــوم لأنها ستظل تثرثر حتى طلوع الفجر اذا علمت كم أنت شغوف بالحديث .

(يأخذ الخبز ويجلس فى خجل وظهره للباب)

بچـــين : (تفتح الباب فى هدوء) ماذا أصـــابك ؟ .. ما الذى تطلبينه فى مثل هذا الوقت من الليل ؟

الأرملة كوين : (تتقدم خطوة ، وهى تتفرس فى كريستى) لقد قابلت شـــون كوخ والأب ريللى ، وقد أخبرانى عن رجلك العجيب . انهما خائفـــان الآن ، فربما يكون سكرانا بين يديك يمـــلأ الدنيا صراخا وضجيجا !

بچـــين : (تشير الى كريستى) انظرى اليه الآن ، هل يصرخ وهـــو مسترخ يتأهب للنوم ، وأمـــامه عشاؤه وكوبه المملوء باللبن ؟ اذهبى اذن وقولى ذلك للأب ريللى ولشون كوخ .

الأرملة كوين : (متقدمة) لن أراهما ثانية ، لأنى حصلت على اذن منهما بأن أخرج هذا الفتى من هنا ليقيم معى .

بچـــين : (فى ذهول واضح) أتقصدين هذه الليلة ؟

الأرملة كوين : (متقدمة) هذه الليلة . « ليس ملائما » هكذا قال القسيس « أن ندع مثل هذا الفتى يقيم مع فتاة يتيمة » (مخاطبة كريستى) رعاك الله أيها السيد !

كريستى : (بخجل) رعاك الله برحمته !

الأرملة كوين : (تتطلع اليه فى فضـــول وشىء من السرور) عجبا ! أراك فتى قليل الابتسام ؟ لابد أن عـــذابا هائلا مريرا ذلك الذى أيقظ شياطينك وجعلك تلوث يديك بالدماء .

كريستى : (بشك) ربما كان كما تقولين .

الأرملة كوين : ان المسألة أكبر من « ربما » .. أتسمعنى ؟ فان قلبى لينعطف لك وأنا أراك تجلس بكل بساطة بكوبك وكعكتك وأجـــدر أن تردد أصول الدين من أن تقتل أبا .

بچـــين : (وهى تغسل الأقداح وراء البار) أهذا كلام يقال لانسان يستطيع كل من رآه أن يجـــده جـــديرا بأن يرفع رأســـه غاليا بعد أن يأتى بالأعاجيب . اخرجى من هذا الموضوع ، لأنى

لن أدعه يتعذب بعد أن أجهده المسير منذ يوم الثلاثاء من الأسبوع الماضى .

الأرملة كوين : (مسالمة) اننا سنرحل ، بكل تأكيد ، بعد أن يفرغ من عشائه ، ولسوف تجدنا أيها الفتى ، نعم الرفيق ، فبمثلى ومثلك يتغنى الشعراء الجوالون فى سوق شهر أغسطس .

كريستى : (بسذاجة) هل قتلت أباك ؟

بچين : (بكل احتقار) لم تقتله . لقد ضربته بمعول قديم فلم يستطع أن يقاوم الصدأ المسموم وهو يفرى دماءه ، فمات بعد قليل ، لقد كان هذا نوعا حقيرا من الجرائم لا يلحق بصاحبه الا شهرة تافهة حتى بين الصغار .

(تعبر المكان الى يسار كريستى)

الأرملة كوين : (ببشاشة) اذا كان لم يصبنى المجد ، فلعل الجميع يعرفون أن أرملة دفنت أطفالها وحطمت رجلها هى رفيق أفضل لشاب كهذا من فتاة مثلك لا تتورع أن تسعى وراء أى رجل يغمز لها بعينه فى الطريق .

بچين : (تنفجر فى هياج شديد) أأنت تقولين هذا ،

أيتها الأرملة كوين ؟ وأنت مازلت تلهثين من الانفعال من طول ما جريت فوق التـل لكى ترى وجهه ! ..

الأرملة كوين : (تضحك ساخرة) أنا ، أليس كذلك ؟ عظيم ان الأب ريللى مصمم على أن يفـرق بينكما الآن (تدفع كريستى الى النهوض) ان رجلا قتل أباه ، لذو اغراء كبير ، ومن الأفضل أن نذهب أيها الشاب ، قم اذن ، وتعال معى .

بچـين : (تمسك ذراعه) لن يتحرك من هنا ، انه الساقى فى هذا المكان . لن أدعك تخطفينه وتستولين عليه بينما « السيد » لا يزال فى الخـارج .

الأرملة كوين : انه سيصبح ساقيا مجنونا ، هـذا الذى يقيم فى الخمارة التى يعمل بها طوال اليـوم ، فمن الأصوب لك ، أيها الشاب ، أن تأتى معى حتى ترى بيتى الصغير الرابض فوق التل المرتفع .

بچـين : انتظر ، يا كريستى ماهون ، حتى يطلع الصباح ، انتظر حتى ترى بعينيك كوخها المتداعى المبنى من الطين والقش ، ان فيه من الحشائش مرعى لعنزتها المزهوة أكثر مما ينمو فى حقولها . وهى

نفسها أقل من أن تستخدم ولو متشردا واحدا ليرتب المكان الذى تعيش فيه ويجعله منسقا ..

الأرملة كوين : عنـــدما ترانى وأنا أقوم بعمـــلى فى جنتى الصـغيرة ، يا كريستى ماهون ، ستقسم بالله العظيم ، أنه خلقنى لكى أحيا وحيدة ، وأنه لا توجد لى نظيرة فى بلدة « مايو » كلها ، فى بناء الأكواخ أو فى قطع الأعشاب أو فى جـز فروة الشاه .

بچـين : (فى هياج واحتقار) حقا لقد خلقك الله ، القادر على كل شىء ، واسعة الحيلة ، ألا يعرف العالم كله أنك ربيت كبشا أسـود وأرضـعته من ثدييك حتى ان أسـقف « كونوت » الكبير تملكه شعور المسيحى الحق فأكله بعد طبق من الكلاوى ؟ ألا يعرف العـالم أنك شـوهدت وأنت تحلقين ذقن الربان الفرنسى ذى الوجـه الماكر ، فى مقابل ثلاثة بنسات فقط وحفنة من ورق التبغ الذى يقلب معدة أى عنزة جبلية تعيش فوق التلال ؟

الأرملة كوين : (فى سرور) أتسـمع ما تقـوله أيها الشاب ؟

أتسمع الطريقة التى ستكلمك بها بعد أسبوع واحد ؟

بچـــين : (الى كريستى) لا تأبه لها ، قل لها أن تذهب الى حظيرة الخنازير التى تعيش فيها وتكف عن ازعاجنا .

الأرملة كوين : انى ذاهبة ، ولكنه سيأتى معى .

بچـــين : (تهزه) أأنت أبكم يا فتى ؟ ! ..

كريستى : (بجبن — للأرملة كوين) أكرمك الله ، ولكنى أعمل ساقيا فى هذا المكان ، وهنا ، أوثر أن أقيم .

بچـــين : (بانتصار) ها قد سمعت رأيه الآن ، اخرجى اذن من هذا الموضوع .

الأرملة كوين : (تجول بنظراتها فى أرجاء الغرفة) انها ساعة موحشة لا تصلح لأن يعبر فيها أحد التلال ، واذا لم يكن فى استطاعته أن يأتى معى الآن ، فلعل من الأصوب لى أن أقيم هذه الليـــلة معكما ، دعينى أتمدد فوق الأريكة ، يا بچين مايك ، ويمكنه هو أن يرقد بجوار المدفأة .

بچـــين : (فى اقتضـــاب وشراسة) قســـما بالله اننى

لن أدعك تفعلين هـــــذا ، اغربى عن وجهى والا فسوف أخرجك بنفسى حالا ..

الأرملة كوين : (تلم شالها وراء كتفها) عجبا ! من المخيف أن يكون المرء فى سن العشرين (الى كريستى) أما أنت أيها الفتى فليرعك الله الآن ، ولتكن على حذر اذا حاولت مغازلة مثل هذه الفتاة ، والا فستجد فى انتظارك عذابا حقيقيا ، لأنهـا تنتظر فحسب ، كما قيل لى ، التصريح لهـا بالزواج من الفتى شـــــون كوخ من بلدة « كيلاكين » .

كريستى : (ذاهبا الى بچين وهى تقفل الباب بالمزلاج) ما هذا الذى كانت تقوله ؟

بچـــين : أكاذيب وحماقات ، لا داعىَ لأن تهتم بها . عجبا ! أليس شون كوخ فتى حقيرا اذ يرسل من يتجسس على ؟ انتظر فقط حتى أضـــع يدى عليه ، انى أقول .. فلينتظر ..

كريستى : وأنت ، ألن تتزوجيه حقيقة ؟ ..

بچـــين : لن أتزوجه ، حتى ولو سعى الأسقف عـــــلى قدميه ليعقد علينا فى هذا المكان .

كريستى : المجد لله ، انه يستحق الشكر على ذلك !

بچـــين : والآن ها هو سريرك . لقد وضعت لك حشية عليه ، وقد صنعتها لك منذ برهة بيدى هاتين ومن الأفضل لك أن تتمدد الآن تأهبا للنوم ، ولينعم عليك الله بالنوم المريح ، حتى أدعوك فى الصباح عندما تصيح الديكة .

كريستى : (يقول وهى ذاهبة الى الحجـرة الداخلية) فليباركك الله والعـــذراء مريم ، والقديس « باتريك » وليكافئوك على حديثك العطوف . (تغلق الباب خلفها . يصعد سريره ببطء ، مستشعرا لذة الفراش فى سعادة كبيرة) . عظيم ، انه سرير نظيف ، ومريح أيضا ، وانه لحظ كبير ورفقة طيبة ما فزت به فى نهاية الأمر ، امرأتان رائعتان تتنازعان من أجل فتى مثلى ، حتى انى لأفكر فى هذه الليلة ، ألم أكن أحمق لأنى لم أقتل أبى فيما سلف من سنين ؟

ســـتار

الفصل الثانى

« نفس المنظر السابق » .
الوقت : صباح مشرق الضياء .
كريستى مشرق الوجه ، يبدو عليه المرح وهو ينظف حذاء فتاة » .

كريستى : (محدثا نفسه وهو يحصى الأباريق التى فوق المنضدة) خمسون فى الخلف . عشرة هناك . عشرون فوق . ثمانون ابريقا . ست فناجين وواحد مكسور . طبقان . كمية كبيرة من الأقداح . زجاجات ، من الصعب على مدرس كبير أن يعدها ، وفى ظنى أنه يوجد منها ما يكفى لكى يسكر كل أثرياء وحكماء مقاطعة « كلير » . (يضع الحذاء على الأرض بعناية) . ها هو حذاؤها الآن ، جميل ، ولطيف ، جاهز لكى تلبسه فى المساء ، يا لضخامة الفرش التى تستعملها ! (يضعها جانبا ، ويتجه تدريجيا نحو المرآة) ما أروع أن أقضى عمرى كله فى هذا

المكان الجميل ، متحدثا مع أناس فى حيـاتهم طرافة بدلا من قضاء وقتى مع كلابى المسنة ، وقطتى .. وأنا أجول هنا وهناك ، مدخنـا غليونى ؛ شاربا كفايتى ، ولا يمضى يوم من أيام العمل ، دون أن أفتح زجاجة من الخمر ، أو أغسل قدحا ، أو أنظف كأسا متألقة لسيد مهذب .

(يأخذ المرآة من على الحائط ويضعها مسندة الى ظهر كرسى ثم يجلس أمامها ويغسل وجهه) ألم أقل لكم اننى جميل رغم أن مرآتنا هناك ، كانت مرآة الشيطان نفسه ، فهى تلوى جبين أى ملاك وتجعله بعين حولاء . ولكنى من هذا اليوم ، سيزداد جمالى ، وسيصبح جلدى لطيفا ناعما بعكس الشبان الأجلاف الذين يحرثون الأرض ويلقون فيها السـماد طوال الوقت .

(ينتبه بغتة) أتراها تعود ثانية (ينظـر الى الخارج) فتيات غريبات . كان الله فى عونى ، أين أخبىء نفسى بعيدا وأنا هكذا عارى الرقبة أمام الناس ؟ (ينظر الى الخارج) من الأفضل

أن أذهب الى الحجـرة حتى أرتدى ملابس ثانية .

(يأخذ سترته والمرآة ويجرى الى الحجرة الداخلية . يدفع البـاب من الخـارج فينفتح ، تظهر سوزان برادى وهى تنظر الى الداخل ، ثم تطرق الباب)

سوزان : لا أحد هنا (تطرق الباب ثانية) .

نيللى : (تدفعها الى الداخل ثم تتبعها هى وأونور بليك وسارا تانسى) ما زال الوقت مبكرا فلا يمكن أن يكونا قد خرجا للتجوال فوق التلال .

سوزان : أعتقد أن شون كوخ كان يهزأ بنا ، ولا يوجد هنا أبدا مثل هذا الرجل .

أونور : (وهى تشير الى القش واللحاف) أنظرن الى هذا . لقد كان نائما فى الليل هناك . عظيم ! سيتحرج الموقف حقا اذا كان قد خرج ، وفى هذه الحالة ، لن تقع أعيننا أبدا على رجل قتل أباه ، ونحن اللائى نهضـنا مبكرات وأنهكنا أنفسنا من الجرى مسرعات فوق التل .

نيللى : أتعتقدين أن هذا حذاؤه ؟

سارا : (ترفع الحذاء) اذا كان هذا حذاءه ، فلابد أن يكون عليه أثر من دماء أبيه . ألم تقرئى أبدا فى الصحف ، كيف تنهمر دماء القتـــلى حتى تسيل ؟

سوزان : هل هذه دماء ، يا سارا تانسى ؟

سارا : (تشم الحذاء) أعتقد أنها مياه بركة ، ولكنه حذاؤه بكل تأكيد لأنى لم أر حذاء مثله أبدا عليه هذه الطينة البيضاء ، والطينة الحمراء ، والعشب ، ورمال البحر الناعمة . قد سار مسافة طويلة ، أقول لكن .. (تنحنى ثم تلبس فردة من حذائه) .

سوزان : ربما هـــرب الى « بلموليت » بحذاء مايكل جميس . فحق لك اذن ، أن تتبعيه ، يا سارا تانسى ، وأنت التى قدت عربة « الكارو » وسرت بها عشرة أميال لكى تشاهدى الرجـل الذى عض أنف السيدة الصفراء على الشاطىء الشمالى . (تنظر الى الخارج) .

سارا : (تجرى الى النافذة وهى لابسة فردة الحذاء) لا تطيلى الكلام . وقد خدعنا اليوم . (تلبس

فردة الحذاء الأخرى) ها قد وجدت حـذاء يلائمنى تمـــاما . وسأحتفظ به للذهاب الى القسيس كى أعترف — ، بينما يمـر عليك الشـــتاء والصيف ، دون أن تفعـــلى أبدا ما يستحق أن تعترفى به .

أونور : (وكانت منصتة عند الباب) صـمتا ! هناك شخص ما فى الحجرة . (تدفع البـــاب فتحة صغيرة) .
انه رجل !

سارا : (تقذف قدمها بالحذاء فينخلع ، وتضعه حيث كان . يقفن جميعا صفا واحدا وهن ينظرن من خلال الفتحة) .

سارا : سأنادى عليه ، أيها السيد ! أيهـا السيد ! (يظهر رأسه) هل بجين معك ؟

كريستى : (قادما كالفأر الوديع وهو يحمل المرآة وراء ظهره) . هى هناك فى الحظيرة ، تحاول أن تحصل لى على جرعة من لبن الماعز لكى أشرب شايا باللبن .

سارا : ولكن ، معذرة ، هل أنت الرجل الذى قتل أباه ؟

كريستى : (متجها نحو المسمار الذى كانت المرآة معلقة عليه) هو أنا ، كان الله فى عونى !

سارا : (تقدم البيض الذى أحضرته) انى أرحب بك اذن ، ألف مرة ، ولقد جئت اليك مسرعة باثنتين من بيض البط من أجل طعامك اليوم . لا فائدة من بط بچين . هذا هو النوع الأصيل الفاخر . مد لى يدك ، وسترى أنى لا أقول كذبا .

كريستى : (متقدما فى حياء ، وهو يمد يده اليسرى) انه بيض عظيم ، وحجمه كبير .

سوزان : وأنا جئت أجرى ، ومعى ورقة من الزبد ؛ لأنه يكون شيئا مؤسفا أن أدعك تأكل البطاطس وهى جافة ، وأنت الذى جريت طويلا منذ أهلكت أباك .

كريستى : شكرا صادقا لك .

أونور : وأنا ، أحضرت لك قطعة صغيرة من الكعك ، فلابد أن تكون جائعا حقا ، وقد مشيت كل هذه المسافة تجوب العالم .

نيللى : وأنا أحضرت لك ، دجاجة صغيرة ، ها هى كاملة ومسلوقة . لقد دهمتها عربة القسيس عنـــدما خيم الظلام ! جس هـــذا الصدر السمين ، أيها السيد ! ..

كريستى : لصدر ملىء بالدهن ، بكل تأكيد . (يجسها بظهر يده التى يمسك بها الهدايا) .

سارا : ألا تجسها ؟ هل يدك اليمنى مقدسة حتى أنك لا تستعملها أبدا ؟ (تنمل دائرة حتى تصبح خلفة) انه يحمل مرآة عظيم ! انى لم أر رجلا حتى هذا اليوم يحمل مرآة على ظهره . الذين يقتلون أباءهم مغرورون بكل تأكيد . (تضحك الفتيات فى صوت مكتوم) .

كريستى : (يبتسم ببراءة وهو يكوم الهدايا فوق المرآة) انى مدين لكن جميعا ، فى هذا اليوم ، بالشكر الجزيل .

الأرملة كوين : (تدخل مسرعة — قرب الباب) سارا تانسى ، سوزان برادى ، أونور بليك ، ما الذى تفعلنه هنا بحق السماء ، فى مثل هذا الوقت ؟

الفتيات : (ضاحكات) هذا هو الرجل الذى قتل أباه !

الأرملة كوين : (قادمة نحوهن) انى أعرف تماما أنه نفس الرجل ، وأنا التى سعيت لكم أضم اسمه الى قائمة المباريات الرياضية التى ستقام عند سفح التل ، للسباق والقفز والقذف وغير ذلك مما يعلمه الله .

سارا : (باندفاع) لقد فعلت صوابا ، أيتها الأرملة كوين ، وسأراهن بمهرى أنه سوف يقهر العالم .

الأرملة كوين : ان كنت ستفعلين ذلك فمن الأصوب لك أن تدعيه يجدد نشاطه ويتغذى بدلا من أن تولمى له وليمة واحدة كبيرة . (تأخذ الهدايا) . هل أنت جائع أم أكلت أيها الشاب ؟

كريستى : جائع ، من فضلك .

الأرملة كوين : (بصوت مرتفع) عظيم ، اسمعن كلكن تحركن الآن ، وقدمن له افطاره .

(الى كريستى) تعال الى هنا (تضعه على مقعد بجانبها بينما الفتيات يعددن له الشاى ويحضرن افطاره) ، فلتحك لنا قصتك اذن ،

قبل أن تأتى بچين ، بدلا من أن تجلس مبتسما هذه الابتسامة العريضة كالقمر فى شهر مايو .

كريستى : (يظهر عليه السرور) انها قصة طويلة ، وسوف تملين سماعها .

الأرملة كوين : لا تدع أن الخجل يستولى على فتى مثلك ، جميل ، وشجاع . وغادر ! هل هشمت جمجمته هناك فى منزلك ؟ ..

كريستى : (فى حياء وان أخذه الزهو) ليس هناك . لقد كنا نقتلع الحشائش فى أحد الحقول فى رقعة شيطانية باردة ، منحدرة ، صخرية .

الأرملة كوين : وهل كنت تسأله شيئا من النقود أم كنت تحاول اقناعه بأن يدعك تتزوج امرأة ربما تطرده من أرضه ؟

كريستى : لم أفعل ذلك ، وانما كنت أحفر ، وأحفر ، فاذا به يقول « أيها المعتوه الأحول اذهب الآن وأخبر القسيس أنك ستتزوج « الأرملة كاسى » فى خلال عشرين يوما » .

الأرملة كوين : وأى نوع من النساء هذه الأرملة ؟

كريستى : (برعب) انها الرعب نفسه جاءتنا من خلف التلال ، فى الخامسة والأربعين ، تزن مئتين وخمسة من الأرطال ، عرجاء ، بعين واحدة ، وهى امرأة ذات شهرة عريضة فى سوء الخلق ، مع الكبار والصغار .

الفتيات : (يتجمعن وهن يقمن بخدمته) المجد لله .

الأرملة كوين : وماذا كان يريد بارغامك على الزواج منها ؟ (تأخذ قطعة من الدجاجة) .

كريستى : (فى مزيد من الرضى وهو يأكل) زعم أنى فى حاجة الى من يحمينى من قسوة الحياة ، فى حين أن كل ما أراده هو الاستيلاء على بيتها ليسكن فيه ، حتى يتمكن هو من الاستيلاء على نقودها ليسكر بها .

الأرملة كوين : ربما كان هناك ما هو أسوأ من وجودك فى المساء مع مدفأة بلا وقود ، وأرملة وكأس فى يدك . وبعد ، هل ضربته ؟

كريستى : (يكاد يتحمس) أبدا . قلت له « لن أتزوجها ، الكل يعلم أنها أرضعتنى عندما ولدت ، لمدة ستة أسابيع ، وهى اليوم عجوز شمطاء ذلت

لسان يجعل الغربان وطيور البحر تنطلق هاربة في الفضاء ، ومن أجل هذا ، لا تجرؤ الطيور على الاقتراب من حديقتها ؛ خوفا من لعناتها » .

الأرملة كوين : (بكدر) نعم الرفيق لك ، هذه المرأة .

سارا : (بحماس) دعك منها . هل قتلته حينذاك ؟

كريستى : « انها صالحة جدا ، لفتى مثلك » . هكذا قال لى : « فاذهب والا حطمتك وألقيت بك خارجا تزحف كأى حيوان دهمته عربة فى الطريق » . قلت له : « لن تفعل هذا ، لأنى سأقاومك » . فقال : « اذهب ، والا جعلت الشيطان يمزقك اربا اربا فى هذه الليلة » . قلت : « لن تفعل هذا ، ما دامت بى قوة » .

(يجلس منتصبا ملوحا بيده التى تمسك القدح)

سارا : كنت على حق ، بالتأكيد .

كريستى : (متأثرا بكلامه) عند ذاك ، أشرقت الشمس بين السحاب والتل غامرة وجهى بأشعتها الناضرة . فرفع منجله قائلا : « فلتنزل رحمة

الله على روحك » قلت وأنا أرفع الجاروف :
« أو على روحك أنت » .

سوزان : يا لها من قصة عظيمة .

أونور : وهو يقصها ببراعة !

كريستى : (مزهوا .. بثقة وفى يده عظمة يلوح بها) هجم على بالمنجل ، فقفزت جانبا ناحية الشرق ، ثم استدرت معطيا ظهرى للشمال ، وضربته ضربة واحدة على أم رأسه ، ألقته على الأرض ، فاقد النطق وقد تهشمت جمجمته .

(يرفع عظمة الدجاجة الى مستوى رقبته)

الفتيات : (معا) عظيم ! انك مدهش .. أوه ! فلتباركك السماء .. انك حقا فتى الفتيان !

سوزان : أعتقد أن الله القدير قد ساقه الى هذا الطريق ، ليجعل منه زوجا ثانيا للأرملة كوين ، فرغم أن الجميع هنا يخشونها ، تجدينها مشوقة جدا لأن تصبح زوجة ، ضعيه فوق ركبتيها لتدلله يا سارة تانسى .

الأرملة كوين : لا تضايقيه ..

سارا : (تذهب مسرعة الى المنضدة ثم الى البار وتحضر قدحين وزجاجة خمـــر) أنتما بطلان ، بكل تأكيد ، اشربا اذن هذا النخب وأنتما ذراع فى ذراع ، كما يفعل عشاق الغجر فى أغانى البحارة (تشبك ذراعيهما وتعطيهما القدحين) هاهما الآن ، اشربا فى صحة الذين أدهشوا العـالم الغربى ، القراصنة ! ، الوعاظ ! ، صـــانعى الخمر ، وفرسان السباق ورجال البوليس .. ، والمحلفين الذين يملئون بطونهم ويبيعون أحكام القانون الانجليزى ! ..

(تلوح بالزجاجـة)

الأرملة كوين : هذا نخب رائع ، والآن فلنشرب يا كريستى .

(يشربان وذراعاهما متشابكان ، كريستى ممســكا قدحـه بيده اليسرى ، وهى بيدها اليمنى وبينما هما يشربان ، تدخل بجين مايك وبيدها قسط اللبن وتقف مذهولة . يتفرق الجميع من حول كريستى الذى يتجه الى اليسـار بينما تظل « الارملة كوين » جالســة)

بجـــين : (الى سارا ، بغضب) ما الذى جئت تطلبينه ؟

سارا : (ترفع فوطتها) أوقية من التبغ .

بچـــين : هل معك نقود ؟

سارا : نسيت كيس نقودى .

بچـــين : اذن اذهبى لاحضـــاره ولا تزعجينا . (الى الأرملة كوين فى احتقار أكبر) وما الذى جئت تطلبينه أنت ، أيتها الأرملة كوين ؟

الأرملة كوين : (بوقاحة) أريد بمـا يساوى بنسا بعضا من النشا .

بچـــين : (ثائرة) أأنت التى ليس فى عائلتك كلها ثوب أبيض أو قميص واحد منذ جفت مياه الفيضان ، اذهبى الآن الى « كيلاماك » ، لا يوجد عندى نشا لأمثالك .

الأرملة كوين : (ملتفتة الى كريستى ، بينما تخرج مع الفتيات) عجبا ! أنت اليوم ساخطة جدا يا بچين مايك ، وأنت ، أيها الشاب ، اياك أن تنسى السباق ، والمباريات الرياضية ، عندما ينتصف النهار . (يخرجن) .

بچـــين : (بغطرسة) ارمى هـــذه النفاية خارجا . (كريستى ينظم المكان فى سرعة كبيرة) ضع هذا المقعد الى جوار الحائط . (يفعل ذلك)

وعلق تلك المرآة على المسمار . من الذى رفعها من مكانها ؟ ..

كريستى : (بمنتهى الوداعة) لقد كنت أهنـدم نفسى فحسب ، فما أروع هـذا الاقليم ، بفتياته الجميلات .

بچين : (بحدة) لا تتكلم عن الفتيات . (تذهب الى البار — يمينا) .

كريستى : ألا يجب أى انسـان آن يكون لطيفا ، فى مكان ..

بچين : اسكت ، ألم تسمعنى ! ..

كريستى : (ينظر الى وجهها برهة ، فى ريبـة كبيرة ، وحينئذ ، يرفع جاروفا ويتجه نحوها ، مؤكدا) . بجاروف مثل هذا قتلت أبى .

بچين : (لا تزال محتدة) حكيت لى هذه القصة ستة مرات ، منذ فجر اليوم .

كريستى : (معاتبا) انه لشىء غريب أن لا تبدين اهتماما بسماعها بينما هؤلاء الفتيات ، جئن سائرات ، أربعة أميال ، ليسمعننى الآن .

بچـــين : (مستديرة له ، وقد أخذتها الدهشة) أربعة أميال ؟

كريستى : (معتذرا) ألم يقل السيد انه لا يوجد فى هذا المكان الا القوم الطيبون ؟

بچـــين : ان الطيبين هم الذين يســيرون فى الطريق .. أما هؤلاء الفتيات فقد جئن عبر النهر يقفزن فوق الصخور ولن يطول بك الأمر اذا رحت تفعل ما فعلت ، لقد خرجت هــذا الصباح ، أطالع الصحف التى يحملها ســاعى البريد فى حافظته (بنغمة ذات مغزى — وهى تؤكد) لأن أخبــارا خطيرة ، يا كريستى ماهون قد انتشرت اليوم . (تدخل الحجرة التى عــلى اليسار) .

كريستى : (بشك) أهى أخبار عن جريمتى ؟

بچـــين : (من الداخل) عن جريمة — فعلا .

كريستى : (فى صوت مرتفع) جريمة قتل أبى ؟

بچـــين : (تعود ثانية وتعبر المكان متجهة نحو اليمين) لم يكن هناك غير قصة كانت تملأ نصف صفحة عن شنق رجل . أوه ! لا شك أنها نهاية مخيفة ،

أيها الفتى ، وهى أسوأ ما تكون حين تحل برجل قضى على أبيه ، لأن مثل هذا الرجل لا يحظى من **الناس الا بأقل شفقة** ، وعندما يموت ، يضعونه فى قبر ضيق ملفوفا فى كفن رخيص ، ويسكبون على رأسه الجير السائل ، كما تسكب احدى النساء أى سائل من فنجان .

كريستى : (فى تعاسة كبيرة) أوه ، كان الله فى عونى . وهل تعتقدين أنى فى أمان ؟ لقد كنت تقولين ، عندما أقبل الليل ، انى بعيد عن الخطر وأنا معكم .

بچـــين : (فى قسوة) لن تكون بعيدا عن الخطر ، فى أى مكان ، اذا ظللت هكذا تحادث أى حفنة من الفتيات الهمجيات ، مثـــل هؤلاء اللاتى يسرن مع رجال البوليس فى الشـــوارع ، ويهمسن فى آذانهم بكل الأسرار ، عندما يخيم الظلام .

كريستى : (فى رهب) وهل تعتقدين أنهن سيحكين قصتى؟

بچـــين : (فى عطف ساخر) من يعلم ، كان الله فى عونك !

كريستى : (فى صـــوت مرتفع) وأى لون من البهجـة يشعرن به وهن يسعين الى شنق فتى مثلى ؟

بچـــين : هؤلاء الفتيات لهن طريقة غريبة حين يمرحن ، ومن يدرى أى فظائع يرتكبن ، فظائع تجعـل الصخور الخضراء ذاتها تضج بالبكاء اذ تتخيل منظرك وأنت تتمايل وتتأرجح تحت حبـــل المشنقة ، وأنت — باركك الله — ذو رقبة قوية جميلة ، الأمر الذى سيجعلك تعانى لمدة نصف ساعة فى عذاب كبير حتى يدركك الموت .

كريستى : (يحضر حذاءه ويلبسه) اذا كن مخيفات الى هـــذا الحد ، فربما من الأفضل أن أستمر فى تجوالى مثل « اسو » أو « قابيل » و «هابيل» على ضـــفاف نهر « نيفين » أو فى ســـهل « أريس » .

بچـــين : (تبدأ فى اللهو به) لعل هذا أفضل ، فعـــلا ، لأنى سمعت أن هيئة القضاء ، فى هذا الاقليم ، لا تعرف الرحمة .

كريستى : (فى مرارة) ليس القضاة وحدهم من لا يعرفون الرحمة ، فى هذا الاقليم . (متطلعا اليها) أليس

من المؤسف ، حقا ، أن أعود الى الطريق مرة أخـرى فتى وحيدا سيظل يتطلع الى النساء والفتيات كما تتطلع الأرواح المخطئـــة الى السماء .

بچـين : وما الذى يدعوك أن تعيش فى هذه الوحدة ، بينما آلاف من الفتيـات المحرومات يتجولن الآن ، فى « مايو » ؟ ! ..

كريستى : (فى كآبة) أنت تعرفين تماما ماذا يدعونى الى ذلك ، وتعرفين تماما كم هو موحش أن يمر المرء فى المساء على البـــلاد الصغيرة ، ويرى الأضـواء وهى تتلألأ على جوانب الطرقات ، أو يرتاد الأماكن الغريبة ، فينبح كلب أمامـه وينبح آخر وراءه ، أو يهبط الى المدن حيث أصوات القبلات وكلمات الغـزل فى كل ركن ظليل من أركان القناة ، بينما يسير هو ، ومعدته خاوية تكاد تسقط من جوفه من شـــدة الجوع .

بچـين : أنت رجل غريب الأطوار ، يا كريستى ماهون ،

بل انك أكثر من رأيت غرابة من الفتيـــان الجوالين ممن عرفت ، حتى هذه اللحظة .

كريستى : وهل يستطيع الرجال الذين يعيشون وحيدين فى هذا العالم الا أن يكونوا غريبى الأطوار ؟

بچـــين : انى لست غريبة الأطوار ، ولقد قضيت حياتى كلها مع أبى وحده .

كريستى : (فى اعجاب طاغ) كيف يمكن لامرأة جميـلة بل وساحرة مثلك أن تكون وحيدة ، فى حين أن الرجـال كلهم ، لابد يتزاحمون حـولك ليسمعوا حلاوة صوتك ، كما يتعلق بك الأطفال الصغار ويزعجون خطواتك ، وأنت سائرة فى الطرقات .

بچـــين : لست أفهم ، كيف يمكن لفتى متملق مثلك أن يكون وحيدا هو الآخر .

كريستى : متملق ؟ ! ..

بچـــين : وهل تريد منى أن أصدق أن رجلا لم يحادث الفتيات مطلقا ، يمكن أن تكون له حـــلاوة الكلمات التى قلتها لى اليـــوم . أنت تدعى

فحسب أنك وحيد لكى تغلبنى على أمرى كما تفعل الآن .

كريستى : لكم أتمنى من الله لو كنت مدعيا ، انما كنت وحيدا فعلا ودائما بل انى ولدت وحيدا ، وحدة القمر فى سماء الفجر .

يتجه الى الباب .

بجين : (متحيرة من حديثه) غريب . ان ما لا أستطيع أن أفهمه أبدا هو ، لماذا تكون أسوأ من الآخرين ؛ يا كريستى ماهون ، وأنت فتى رائع ولك من عنف الطبع ما جعلك تقتل أباك .

كريستى : ما أقل ما أفهم نفسى ، أنا الآخر غير أن ما أعرفه الآن أن قلبى قد مسه اليوم حريق . وها أنذا أرحل بعيدا عنك ؛ تترامى بيننا المسافات ؛ ولا أسير بجوارك فجرا آخر فى حياتنا ، حتى تقوم القيامة ، ونخرج من القبور آملين فى رحمة الله ، أو منتظرين العقاب على أيدى ملائكته ، والآن ، من الأفضل لى أن أحمل عصاى فى يدى ، وأذهب لأن الشفق شىء مؤسف (يستدير

ليذهب) ولم يعد لى من اليوم بقاء فى هذا المنزل .

بجين : (فى حدة) كريستى ! (يستدير) تعالى الى هنا . (يتجه نحوها) ضع هذا العصا ، وارم بعض الوقود فى النار . أنت تعمل ساقيا فى هذا المكان . ولن أدعك الآن ، ترحل بعيدا عنا .

كريستى : كنت تقولين انى سأشنق اذا بقيت .

بجين : (أخيرا — برقة) ظللت أخرج لمدة أسبوعين أو ثلاثة لأقرأ جرائم ايرلندة المرعبة ، ولم أجد كلمة تشير الى جريمتك (تنهض وتذهب الى البار) من المحتمل أنهم لم يجدوا الجثة ، وعلى ذلك ، فأنت معنا هنا ، فى أمان .

كريستى : (مدهوشا ، يقول ببطء) كنت تسخرين منى اذن ! (يتبعها فى فرح طاغ) وأنا الآن أستطيع البقاء لأعمل بجوارك ، لست وحيدا من اليوم .

بجين : ومن الذى يصدك عن البقاء هنا الا الأرملة أو الشابات فربما غررن بك جميعا ؟

كريستى : (فى نشوة) اليوم ، سوف تملأ كلماتك سمعى ، وهذه النظرة التى تبدو فى عينك ،

ستلتقى بها عيناى ، وسأرقبك تمرحين هنا وهناك فى أحضان الشمس الدافئة أو وأنت تغسلين قدميك عندما يقبل المساء .

بچين : (برقة وهى خجلة قليلا) أرى أنك ستكون شابا مخلصا فى عملك ، واذا كنت أغضبتنى ، لحظة ، بتحالفك مع أولئك الفتيات ، فانى أقول اننى لا آبه قط لفتى ليس له روح شجاع وقلب جسور (يدخل شون كوج مسرعا وهو يحمل سلة على ظهره ، تتبعه الأرملة كوين) .

شون : (لبچين) كنت مارا بالقرب من هنا ، فرأيت خرافك الجبلية تأكل الكرنب فى حقول « جيمى » . أسرعى اليها والا فانها بكل تأكيد سوف تنفجر من كثرة الأكل .

بچين : أوه .. فليحفظها الله ! (تضع شالا على رأسها وتخرج مسرعة) .

كريستى : (ينقل نظراته بينهما وهو ما يزال فى نشوته) ربما من الأفضل أن أذهب لمعاونتها فاننى خبير بالخراف .

الأرملة كوين : (تغلق الباب) انها تستطيع أن تتصرف جيدا ،

كما أن شـــانين لديه أحاديث طويلة يريد أن يقولها لك الآن .

(تجلس وعلى شفتيها ابتسامة المسرورة)

شون : (يأخذ شيئا من جيبه ويقدمه لكريستى) هل رأيت هذا ، أيها السيد ؟ .

كريستى : (ينظـــر للشيء) نصف تذكرة الى الولايات الغربية !

شون : (مرتجفا من شدة القلق) انى سأعطيك اياها ، مع قبعتى الجديدة (يخرجها من الســـــلة) وسراويلى ذات « الحجر » المزدوج (يخرجها) وسترتى الجديدة المنسوجة من أنقى غـــزل أسود يمكن أن تجده فى محيط ثلاثة أميال . (يعطيه الســترة) وأمنحك بركاتى ، وبركات الأب ريللى نفسها ، اذا بعدت عن هذا المكان وتركتنا نعيش فى السلام الذى كنا ننعم به حتى حل ظلام ليلة الأمس .

كريستى : (بعطرسة جديدة عليه) ومن أجل أى شيء ، تريد أن تتخلص منى ؟

شون : (ينظر الى الأرملة كوين طالبا مساعدتها) ، كنت تلميذا غير مجد ، وليست لدى مواهب خاصة لألفق كذبة ،لذا ، فسوف أخبرك بالحقيقة يا كريستى ماهون ، اننى سأتزوج من بچين ولا أظن أبدا أنى سأسمح لرجل ذى حيلة لا يعرف الخوف مثلك ، أن يقيم معها فى منزلها .

كريستى : (يكاد يبلغ حد العدوان) وأنت تحاول أن تستعمل الرشوة لكى تبعدنى عن هنا ؟ ! ..

شون : (فى صوت متوسل) أرجو أن لا تسىء الظن يا سيدى العزيز ، فوراء هذا المكان ، لا هنا تستطيع أن تحصل على السلاسل الذهبية ، والسترات المتألقة ، وأن تركب للصيد مع سيدات الاقليم . (يشير بلهفة الى الأرملة كوين لكى تساعده) .

الأرملة كوين : (مشتركة فى الحديث) انه يقول الحقيقة ، ومن الأفضل لك أن ترحل بعيدا عن هذا المكان ، ولا تدع هذه الفتاة المسكينة تتصدى لك ؛ ثم

ان شافين يعتقد انها لا تلائمك ، رغم أن الجميع يقولون انها سوف تتزوجك .

(كريستى يشرق بالسرور)

شون : (فى غيرة ورعب) انها لا يمكن أن تلائمك وهى على هذا الطبع الشيطانى ، الأمر الذى سيجعلكما تمسكان بخناق بعضكما فى خلال عشرين يوما .

(يمثل بيديه حركة الخنق) انها لا تصلح الا لفتى مثلى فحسب ، مجرد فتى بسيط ، لا يجرؤ أن يرفع يدا عليها حتى ولو جرحته بأظافرها .

الأرملة كوين : (تضع قبعة شون على رأس كريستى) على أية حال ، حاول أن تقيس هذه الملابس أيها الفتى ، فربما يعيرها لك لكى ترتديها فى المباريات الرياضية .

(تدفعه نحو الباب الداخلى) ارتديها أولا ، وبعدها ، يمكنك أن تعطى جوابك .

كريستى : (يضىء وجهه بالسرور فرحا بالملابس) سأرتديها فعلا ، فكم أحب أن ترانى بحين بهذه

القبعة وفى هذه السترة ذات القماش الفاخر .
(يدخل الحجرة ويغلق الباب) .

شون : (فى قلق بالغ) انه يجب أن تراه بچين مرتديا هذه الملابس . انه لن يرحل من هنا أيتها الأرملة كوين ؛ ان بداخله عشرين شيطانا الأمر الذى يؤكد أنه سيتزوج بچين .

الأرملة كوين : (بسخرية) صحيح ، ان كل الفتيات مغرمات بالشجاعة ويكرهن أمثالك .

شون : (يذرع المكان ، فى يأس) أوه ! أيتها الأرملة كوين ، ما الذى أفعله الآن ؟ انى لأود أن أبلغ ضده ، ولكنه سيهرب من « كيلمانهام » ويقضى علىّ لا محالة ، لو لم أكن أخاف الله الى هذه الدرجة ، فلربما تشجعت ففاجأته من الخلف بطعنة فى جنبه . أوه ! انه لموقف عسير ؛ أن يكون المرء يتيما ، وأن يفقد أباه الذى تعـود عليه بينما كان يستطيع فى سهولة أن يقتـله ويجعل من نفسه بطلا فى أعين الجميع . (قادما نحوها) أوه ! أيتها الأرملة كوين ، هل تجدين لى حيلة اذا وعدتك بأن أعطيك نعجة ؟ ! ..

الأرملة كوين : نعجة ! انها ثمن بخس ! ولكن ماذا تعطينى اذا تزوجته فعلا ، وأنقذتك منه ؟

شون : (مذهولا) أنت ! ؟ ..

الأرملة كوين : نعم . هل تعطينى بقرتك الحمراء ، وكبشك الجبلى وحق المرور عبر حقل الشعير وحملا من سماد فى عيد القديس « ميخائيل » وحق قطع الحشيش من أرضك على التل الغربى ؟ ..

شون : (وقد عاوده الأمل) موافق ، بكل تأكيد ، ولسوف أعطيك خاتم زفافى ، وأعيرك سترة جديدة له حتى يبدو أنيقا فى يوم الزفاف . وسأهبك جدين لعشائكما مع جالون من الخمر ،وسوف أدعو لك الزمار من « كروسمولينا » أو من « بالينا » فى عربته الطويلة ليحيى زفافك وسوف أعطيك ..

الأرملة كوين : يكفى هذا ، اسكت الآن لأنه راجع .

(يدخل كريستى فى غاية الأناقة فى الملابس الجديدة ، تذهب اليه الأرملة كوين مبدية اعجابها)

الأرملة كوين : لو رأيت نفسك الآن ، لاستبد بك الفخر بالنفس فرحت ترفض الحديث مع الناس ، وكم هو

مؤسف حقا أن يبحر فتى مثلك من « مايو » الى العالم الغربى .

كريستى : (فخورا كالطاووس) لست راحلا ، ورغم أن هذا مكان فقير فسأهيىء نفسى على قبوله .

(تشير الأرملة كوين الى شون ليتركهما) .

شون : (طيب ؛ أنا ذاهب لكى أقيس حلبة السباق منتهزا فرصة الجزر ، وها أنذا أترك لك الثياب ودعائى لك بالتوفيق فى مباريات اليوم . باركك الله ! ..

(يهرول خارجا)

الأرملة كوين : (مبدية اعجابها بكريستى) رائع ! أنت فى غاية الأناقة ، أيها الشاب ، اجلس الآن وأنت صافى الذهن هكذا وحدثنى .

كريستى : (مختالا) انى خارج لأبحث عن بچين بجوار التل .

الأرملة كوين : أمامك متسع من الوقت لكى تبحث عن بچين ، ولقد سمعتنى أقول عندما أقبل الليل اننا نحن الاثنان لو اقترنا فستكون نعم الرفيقين .

كريستى : من الآن فصاعدا ، لن أكون فى حاجة الى رفيق

بينما كل الناس ينزلون لى عن طعامهم وثيابهم .
(يختال نحو الباب ويشد الحزام حول وسطه)
حتى يشاهدوا فتى يتيما شهما شق أباه نصفين
بضربة واحدة (يفتح الباب ثم يرجع مترنحا)
أيها القديسون ! أيتها الملائكة المقدسة المطلة
من عرش النور !

الأرملة كوين : (متقدمة نحوه) ماذا أصابك ؟

كريستى : انها روح أبى المقتول تسير بالخارج !

الأرملة كوين : (تنظر خارجا) أهو ذلك الأفاق ؟

كريستى : (فى اضطراب بالغ) أين أخبىء جسمى المسكين
من ذلك الشبح القادم من الجحيم ؟ !

(يفتح الباب بدفعة من الخارج ويظهر
العجوز ماهون على عتبته ، ويندفع
كريستى مختبئا وراء الباب)

الأرملة كوين : (فى دهشة كبيرة) رعاك الله يا رجلى المسكين .

ماهون : (بعجرفة) هل رأيت شابا يمر من هذا الطريق
فى الصباح المبكر أو عند هبوط الظلام ؟

الأرملة كوين : يالك من رجل عجيب ، تدخل بيوت الناس
دون أن تلقى بالتحية .

ماهون : هل رأيت هذا الشاب ؟

الأرملة كوين : (بجفاء) أى نوع من الفتيان هو ؟

ماهون : أفاق ؛ قبيح ، ضئيل ، له فم سفاكى الدماء ، ويحمل قضيبا صغيرا فى يده . لقد قابلت عابر سبيل رآه يسير فى هذا الطريق عند هبوط الظلام .

الأرملة كوين : هناك مئات من الحاصدين يمرون فى هذه الأيام قاصدين سفينة « سليجو » . ولماذا تبحث عنه يا رجلى المسكين ؟ .

ماهون : أريد أن أقضى عليه لأنه شج رأسى بمقدمة جاروف (يخلع قبعة كبيرة ، ويريها فى شىء من الفخر رأسه يحيط به الجبس وهو ملفوف فى كتلة من الأربطة) ألست رجلا عجيب الشأن اذ اقتفيت أثره طيلة عشرة أيام بهذا الجرح فى رأسى ؟

الأرملة كوين : (تأخذ رأسه بين يديها وتفحصه فى سرور بالغ) لقد كانت ضربة شديدة . ومن الذى ضربك ؟ ألعله لص ؟

ماهون : انه ابنى أنا الذى ضربنى ، وسـواء كان الشيطان ، أو لصا أو أى شىء آخر فانه ليس الا فتى قذرا ، أحمق يتلعثم فى كلماته .

الأرملة كوين : (تترك رأسه ثم تمسح يديها فى فوطتها) من الأفضل لك أن تهتم بهـذا العطب المهلك فى جمجمتك — كما يقولون — بدلا من تجوالك بهذا الجرح فى الشمس المحرقة . لقـد كانت ضربة عنيفـة بكل تأكيد ، ولابد أنك أغضبته غضبا مخيفا حتى جعلته يجرح أباه هذا الجرح الكبير .

ماهون : أنـا ؟

الأرملة كوين : (وهى تتسلى) طبعا ، أليس من المخجل حقا أن يجور الكبير القوى على الضعيف فيعذبه ؟

ماهون : (ثائرا) أتقولين أعـذبه ؟ وأنا الذى ظللت متمسكا بالصبر كقديس شهيد حتى أشرفت على الهلاك ، ثم اذا بى أهيم على وجهى وأنا رجـل عجوز دون أن يساعدنى أحد .

الأرملة كوين : (مسرورة جدا) غريب حقا ما يفعله الشر ببعض الناس فيفسدهم .

ماهون : أنا شرير ؟ ألم أقل لك انه هو الذى حطمنى ، وانه كذاب كبير ، لا يلفظ غير الحماقات ، يرقد نصف اليوم فوق الحشائش الداكنة معرضا بطنه للشمس .

الأرملة كوين : ألا يعمل مطلقا ؟

ماهون : عمل الشيطان ! واذا شاء أن يعمل ترينه رافعا بيده كومة الدريس كأنها عود من القش ، أو يدفع آخر بقرة لدينا دفعا حتى يحطم فخذها من طول المسير ، فان لم يكن هذا ولا ذاك فهو يمارس حماقاته مع طيوره الصغيرة أو يقف أمام قطعة المرآة المعلقة على الحائط ويتخذ لوجهه أوضاعا مختلفة .

الأرملة كوين : (ناظرة الى كريستى) وكيف كان يظهر حمقه ؟ ربما كان يطارد الفتيات ! ..

ماهون : (فى صيحة استهزاء) أتقولين مطاردة ؟ انه لو لمح طرف مئزر أحمر لفتاة وهى تخطر قادمة من فوق التل ، لهرول بعيدا ليختبىء بين الأحراش ، وجعل ينظر من بين الأغصان وأوراق

الشجر بعيون كعيون النعاج ؛ وأذناه متصلبتان كأذنى أرنب يتطلع من فرجة . فتيات ! حقا !! .

الأرملة كوين : ربما كان يسكر ؟

ماهون : انه مسكين ؛ يكفى أن يشم رائحة الخمر لتجديه مخمورا ، فلابد أن تعرفى أن له معدة فاسدة غير طبيعية وقد حدث منذ مدة ، أن أعطيته ثلاثة أنفاس فقط من غليونى ، فظل يتلوى من الألم حتى اضطررت الى ارساله الى ممرضة النساء فى عربة الحمير .

الأرملة كوين : (تشبك يديها) أشهد أنى لم أسمع أبدا حتى هذا اليوم برجل مثل هذا الرجل .

ماهون : انى أقسم بالله العظيم ، أنك لم تسمعى فعلا بمثله ، ألم يكن أضحوكة كل أنثى ، فى أربع مديريات بأسرها ، حتى ان الفتيات ، اذا رأينه قادما فى الطريق ؛ كن يتوقفن عن جمع الأعشاب ليطلقن عليه صيحة ساخرة ، ثم يدعونه : مجنون عائلة ماهون ؟

الأرملة كوين : انى لأهب العالم كله لمن يرينى فتى مثله . وأى نوع من الفتيان كان ؟

ماهون : فتى ضئيل قصير !

الأرملة كوين : وأسمر ؟

ماهون : أسمر وقذر !

الأرملة كوين : (متأملة) أعتقد أنى رأيته .

ماهون : (بلهفة) هو وغد قبيح صغير السن .

الأرملة كوين : انه صعلوك ، قبيح ، مخيف ، وهو قطعة منك !

ماهون : ومن أى طريق سار ؟

الأرملة كوين : ذهب من فوق التلال ليركب باخرة من على الشاطىء الى الشمال أو الجنوب .

ماهون : هل أستطيع أن أدركه الآن ؟

الأرملة كوين : اذا استطعت أن تعبر الرمال السفلى قبل أن ينحسر المد ، فسوف تصل الى هناك فى نفس الوقت الذى يصل فيه لأن عليه أن يسير عشرة أميال من رأس الخليج (تشير الى الباب) انطلق الآن هابطا نحو الطريق الأمامى ثم تقدم فى الطريق الرئيسى الى الشمال ثم الى الشرق (يذهب ماهون فجأة) .

الأرملة كوين : (تصيح خلفه) أعطه درسا طيبا عندما تصل اليه ، ولكن اياك أن تعرض نفسك لطائلة

القانون والا فسيكون من المؤسف أن يرى المرء قاضيا بقلنسوته السوداء ، يصدر حكمه على محارب شجاع مثلك . (تدفع الباب وراءه وتنظر — للحظة — الى كريستى الذى يرتجف منكمشا من الرعب ثم تنفجر ضاحكة) .

رائع ! أنت اذن ، فتى العالم الغربى المدلل ، الجوال ، وذلك هو الرجل المسكين الذى شطرته نصفين من رأسه الى خصره .

كريستى : (ينظر الى الخارج ، ثم يتطلع اليها) ترى ماذا تقول بچين ، عندما تسمع هذه القصة ؟ ما الذى ستقوله لى الآن ؟

الأرملة كوين : أعتقد أنها ستحطم رأسك ، ثم تطردك من هذا الباب . كان الله فى عونها هذه التى اعتقدت أنك فتى مدهش ، وأنت محتال صغير لفقت قصة ، وزعمت أنك قتلت أباك .

كريستى : (ملتفتا ناحية الباب ، يكاد يكون عاجزا عن الكلام من شدة الانفعال — كأنما يحدث نفسه) أن أزعم أنه مات ، ثم يعود حيا يرزق ، يتبعنى كعرسة عجوز تقتفى أثر فأر ، ثم يأتى

هنا لكى يوقع بينى وبين نساء ايرلندا الجميلات وهو ليس سوى جيفة قذرة لا تستحق الا أن يقذفها المرء الى البحر .

الأرملة كوين : (أكثر جدية) أهذا كلام يقوله ابن وحيد ..

كريستى : (منفجرا) أتقولين ابنه الوحيد ؟ ليته يصبح بسنة واحدة مسوسة ، وعين واحدة يرى بها سبعة وسبعين شيطانا فى منحنيات الطريق ، وساق واحدة خشبية عجوز يحجل بها الى جحيم القبر . (ينظر خارجا) ها هو ذا الآن يعبر الرمال نحو الشاطىء ، فليت الله ، القادر على كل شىء ، يقذفه بموجة عالية تمحوه من هذا العالم .

الأرملة كوين : (مذهولة) ألا تخجل ؟ (تضع يدها على كتفه وتديره نحوها) ماذا أصابك ؟ انك على وشك البكاء . أتبكى حقا ؟

كريستى : وأنا الذى كنت أرى نجمة المعرفة متألقة فوق جبينها تشع منها ضياء الحب ، وأسمع الكلمات التى تذكرنى بالقديس « بريجيد » ، وحديثه الطاهر الى الأطفال من القديسين ، أما الآن ،

فانها ستعود مرة أخـرى ، وتعنفنى بكلماتها القاسية ، كما تفعل أى امرأة عجوز وهى تدفع حمارها المعرقب فوق أحد التلال .

الأرملة كوين : ياله من كلام شاعرى تقوله من أجل فتـــاة تأكلها الحكة وتجعلها تهرش ، وتفـوح منها رائحة الخمر العفنة من طول وقفتها وهى تبيع فى المحل .

كريستى : (بضجر) انها الفريق الذى تروج بضاعته فى السماوات العلا . فما الذى أفعله الآن ، وأنا أعجوبة من الأعاجيب قذفت بى الســماء من حالق بعد يوم واحد فقط ؟

(تسمع أصوات الفتيات صـاخبة من بعيـد ، تنظر الأرملة كوين من النافذة ، ثم تعود اليه مسرعة)

الأرملة كوين : أراك تفعل مثلى ، بعد أن قتلت زوجى . أخرج أكثر أيامى ، وأجلس فى ضوء الشمس نشوانة أرفى جوربا أو أرتق فتقا . وأوقاتا أخـرى ، ترانى أتطلع الى البحـر حيث تمضى مواكب السفن الشراعية وقوارب الصيد ، وجمـوع

الصيادين بشباكهم الكبيرة ، وأنا أفكر فى هؤلاء الرجال الأشداء وهم يسبحون بشعرهم الطويل أسفل المرتفع ، بينما تمضى السنين وأنا أحيا وحيدة مع همومى .

كريستى : (باهتمام) اذن ، فأنت مثلى .

الأرملة كوين : اننى مثلك ، ولذلك ، ترانى راغبة فيك ، وهناك فى بيتى الصغير الرابض فوق المرتفعات ، ستجدنى أرعاك وأهتم بك دون أن يسأل عنك أى انسان سواء كنت قاتلا أو أى شىء آخر .

كريستى : وما الذى أفعله اذا تركت بچين ؟

الأرملة كوين : عندى لك أعمال لطيفة تقوم بها ، كأن تجمع الأصداف لتزين كوخنا من الداخل ، أو تبنى بيتا صغيرا للأوز ، أو تغطى كلبى العجوز بغطاء جلدى جديد ، ولما كان كوخى خاليا من جميع الجهات ، فستجد فيه عند زاوية الطاحونة أفطن الكهول ، وهناك ستقضى معى أمتع الأوقات ، تتهامس وتتعانق ..

أصوات : (تنادى من بعيد من الخارج) كريستى ! كريستى ماهون ! كريستى ! ..

كريستى : أهى بچين مايك ؟ .

الأرملة كوين : أظن الفتيـات قادمات ليأخذنك الى المنخفض حيث تجرى المباريات . وما الذى تريد أن أقوله لهن الآن ؟

كريستى : ساعدينى لكى أظفر ببچين . فهى وحدها التى أريدها الآن .

(تنهض الأرملة كوين وتذهب الى النافذة) ساعدينى لكى أفوز بها وسأظل أدعو الله أن يمد لك يده ساعة الموت ويقودك فى يسر خلال جنات النعيم ويرفعك فوق السماوات الى أعتاب السيد المسيح .

الأرملة كوين : يالها من صلاة !

الأصوات : (تقترب) كريستى ! كريستى ماهون !

كريستى : (مضطربا) هاهن قادمات . هل تقسمين أن تساعدينى وتنقذينى من أجل السيد المسيح ؟

الأرملة كوين : (تنظر اليه ، برهة) واذا ساعدتك ، فهل تقسم أن تمنحنى عندما تصبح السيد هنا حق المرور من الطريق الذى أريده وأن تعطينى كبشـا

جبليا ، وحملا من سماد فى عيـــد القديس ميخائيل ؟ ..

كريستى : أقسم بأسرار الليل ونجومه أن أعطيـــك ما تطلبين .

الأرملة كوين : حينئذ ، فلن تقول كلمة واحدة عن الرجـــل العجوز ، وهكذا ، لن تعرف بچين قصتك أبدا .

كريستى : واذا سنحت له الفرصة وعاد مرة أخرى ؟

الأرملة كوين : سنقسم أنه رجل مجنـــون وليس أباك . فأنا أستطيع أن أقسم أنى رأيته اليوم يهذى فوق الرمال . (تدخل الفتيات مسرعات) .

سوزان : هيـــا الى المباريات فى المنخفض ، بچين تطلب اليك المجىء .

سارا تانسى : القفز يبدأ الآن ولدينا سترة (جوكى) تناسبك تماما لسباق البغال فوق الرمال .

أونور : هيا ، ألا تأتى ؟

كريستى : سأذهب اذن ما دامت بچين هناك .

سارا : انها عند المنخفض تسخر من شانين كوخ .

كريستى : اذن ، سأذهب اليهـا (يخرج مسرعا . تتبعه الفتيات) .

الأرملة كوين : عظيم ؛ واذا خاب فأله ؛ فلسوف يتبين أن ليس هنـاك من يعطف عليه غير أرملة مثلى ، دفنت أطفالها ؛ وقضت على رجلها . (تخرج) .

ســـتار

الفصل الثالث

« نفس المنظر السابق ، بعد ساعات من أحداث الفصل السابق . يدخل « جيمى » وهو ثمل قليلا » .

جيمى : (ينادى) بچين ! (يدخل الى الباب الداخلى) بچين مايك ! (يعود ثانية) بچين ! (يدخل نيللى ثملا هو الآخر — مخاطبا نيللى) هل رأيتها ؟

نيللى : لم أرها ، ولكنى أرسلت شون كوخ بالعربة ليحضره (يحاول فتح الدواليب المغلقة) ألا يعتبر رجلا فظيعا من يشرب كل هذه الخمر ، وفى صباح يوم الجناز ؟ وهى نفسها .. أليست ابنة الشيطان اذ تغلق هذه الدواليب ، حفاظا منها على هذا الفلاح الشاب ، ثم لا تأبه بعد هذا ان متنا من الظمأ ؟

جيمى : لها الحق فى عنايتها به ، لقد ظل يلعب « الروليت » حتى أصاب صاحب اللعبة

بالافلاس .. كما تسبب فى افلاس صاحب لعبة الخية ، وقهر صاحب لعبة النيشان ، وفاز فى جميع المبـــاريات التى أقيمت ، فى السباق ، والقفز وفى الرقص ، وما لا يعلم الا الله بعـــد هذا ! من المؤكد أنه انسان محظوظ .

نيللى : اذا كان هـــذا هو حظه ، فسوف يحق له أن يكون الفارس هنا ، وهو الذى لا يكاد ينطق كلمات قليلة ، حتى يفخر بالطريقة التى قتل بها أباه ، وكيف صرعه بضربة قاتلة من جاروفه !

جيمى : لا يمكن شنق رجل لمجرد قوله انه قتل ، ومن المؤكد أن جثة أبيه قد تعفنت الآن . (يمر العجوز ماهون تحت النافذة ببطء) .

نيللى : لنفترض أن رجـــلا ما كان يستخرج البطاطس بجاروف طويل فى ذلك الحقـــل . وأنه ضرب ضربة أخـــــرج بها نصفى الجمجمة من باطن الأرض ، فما الذى ستقوله الجرائد ، والقضاة حينئذ ؟

جيمى : ربما يقولون انه دانيمركى قديم ، غـــــرق فى الطوفان .

(يدخل العجوز ماهون ، ويجلس منصتا قرب الباب) ألم تسمع قط حكاية جماجم « دبلن » المصـــــفوفة كالأباريق الزرقاء فى كابين من « كوت » ؟

نيللى : وهل تصدق تلك الحكاية ؟

جيمى : (فى عناد) ألم يرها أحد الفتيان وهو عـائد من الحصاد فى السفينة القادمة من «ليفربول» ؟ « انها مصفوفة هناك » هكذا قال « تمثل عرضا لعظماء الرجـــال ، الذين كانوا فى وقت ما ، يجوبون العـالم فى زهو .. جماجم بيضاء ، وجماجم سوداء ، وجماجم صـفراء ، بعضها بأسنان كاملة ، والبعض الآخر ليست له سوى سنة واحدة » .

نيللى : لعلهم صادقون اذن ، لأنى عندما كنت صبيا ، كانت هناك مقبرة خلف المنزل ، بها بقايا رجل ، وكان له فخذان طويلان كذراعيك ، وكنت ألهو فى كثير من أيام الآحاد المشرقة ، فأجمع عظامه البراقة وأرتبها كما كانت انك لا تجد مثـلها فى هذه الأيام وفى هذه الدنيا .

ماهون : (ناهضا) ألا يوجد مثلها حقا ؟ انظر الى هذه الجمجمة جيدا ،، ثم خبرنى ؛ أين .. ومتى يوجد أخرى مثلها ، لم يشجها شيء قط غير ضربة جاروف .

نيللى : المجد لله ! ومن الذى ضربك ؟ !

ماهون : (مزهوا) ان الذى ضربنى هو ابنى أنا . هل تصدق هذا ؟

جيمى : رائع ! كم يكتم الانسان فى قلبه من أعاجيب !

نيللى : (بشك) وكيف حدث هذا ؟ ..

ماهون : (وهو يتجول فى الحجرة) لقد طفت عشرات ومئات من الأميال أملأ معدتى أربع مرات فى اليوم وأنام فى سرر نظيفة ، لقـــاء أن أقص قصتى هذه على الناس (يندفع نحوهم فى شيء من الشراسة) أعطنى جرعة من الخمر ، أقص عليك الآن ، كل شيء .

(تدخـل الأرملة كوين وتقف مذهـولة خلفه ، بينما يواجه هو .. جيمى وفيللى الواقفين الى اليسار)

جيمى : اسأل التى تقف وراءك ، فهى تخفى فى شالها خمرا .

الأرملة كوين : (تتجه مسرعة الى ماهون) أنت هنا ؟ لم تذهب بعيدا ؟

ماهون : رأيت السفينة الساحلية تبحر ، وكانت ساقى قد تقلصت عضلاتها ، وأكاد أموت من الظمأ فقلت : « لتذهب مع الشيطان ! » ثم عدت ثانية .

(ينظر تحت شالها) اعطنى جرعة من الخمر فقد أنهكنى طوال المسير منذ ثلاثاء الأسبوع الماضى .

الأرملة كوين : (تحضر قدحا وهى تداهنه) اجلس اذن قرب المدفأة واهدأ قليلا ، فلا شك أنك متعب حقا من طول ما عانيت من السير الطويل والقتال تحت وهج الشمس . (تعطيه الخمر من الجرة التى أحضرتها معها) ها هو الشراب أمامك الآن ، ولتكن هذه الكأس نخبا لسعادتك وطول حياتك .

ماهون : (يأخذ القدح بشراهة ويجلس قرب المدفأة) جزاك الله خيرا !

الأرملة كوين : (تستصحب الرجلين متسللة الى اليمين)

أتدريان ؟ ان هذا الرجل كان يهذى اليـوم من جرحه ، فقد قابلته منذ قليل ، هائما يحكى لكل عابر سبيل أن أحد السمكرية قد هشم رأسه ، وحينما سمع بفعلة كريستى اندفع قائلا انه ابنه ، وانه هو الذى هشم رأسه . أوه ! أليس الجنون شيئا مخيفا ؟ .. لا شـك انه سوف ينطلق الآن ويقتل أى انسان يقابله متوهما أنه هو الذى شج رأسه ؟

جيمى : (باقتناع تام) أمر مخيف تماما ؛ لقـد عرفت شبيها له ، رفسه فرس أحمر فى رأسه فانطلق يقتل كل حصان يصادفه ؛ وظل على ذلك مدة طويلة ، حتى ابتلع أخيرا آلات احدى الساعات فمات بعدها مباشرة .

نيللى : (بشك) أهو قد رأى كريستى ؟

الأرملة كوين : لم يره . (محذرة) اياك أن تذكر أمامه شيئا عنه والا فمن المحتمل أن تكون أنت السبب اذا حدثت جريمة قتل (تلتفت الى ماهون) صمتا ! انه ينصت الينا . انتظرا الآن ، لنرى كيف أسلس قياده . وأعرف منه التفاصيل .

(تذهب الى ماهون) كيف حالك الآن ياسيدى ؟ هل أنت مسرور ؟

ماهون : (وقد ظهـــرت عاطفيته من أثر الشراب) لا يضايقنى الا صحتى ..

يا لسوء طالعى اذ أجدنى وحيدا اليوم ، بعد أن رعيته واهتممت بأمره منذ مولده ، ولكنه بليد العقل ، لم يصل فى المدرسة قط الى كتاب السنة الثانية ، ولذلك ، كان يعود منها فى معظم الأيام ، وهو يعرج ، وجهه ملىء بالكدمـات السوداء من كثرة الضرب ، كأنما هو حمـار السمكرى . صدقينى ، انها قصة أليمة ، أن يقتل الناس أقرب المقربين اليهم ؛ ويلقى آخرون مصرعهم ، وهم وحيدون ، يولولون فى منتصف الليـل .

الأرملة كوين : (وهى لا تدرى ماذا تقول) ان من يسمعك وأنت تتكلم بهذا الهدوء لا يخطر ببـاله أنك نفس الرجل الذى رأيناه يمر اليوم أمامنا .

ماهون : انى نفس الرجل ، بالتأكيد . حطام ؛ وبقـايا ستين عاما ، صدقينى ، ان من المخيف أن يعيش

الانسان كل هذه السنين ، تصـورى أولادك وقد خطا بك الزمن الى مثل سنى وهم يهبون فى قتالك فتنين عافيتك فى تعنيفهم ، وضربهم وغير ذلك مما لا يعلمه الا الله ! ..

نيللى : (الى جيمى) انه لا يهذى ! (الى الأرمـلة كوين) لم لا تسألينه أى نوع من الفتيان كان ابنـه ؟

الأرملة كوين : (الى ماهون — بنظرة ذات مغزى) هل ابنك الذى اعتدى عليك ، فتى فى سن الواحـدة والعشرين تقريبا ، وهل هو بطل فى السـباق والقفز ، يستطيع أن يقهر العالم ؟

ماهون : (مستديرا لها وهـو يهـدر من الانفعال) ألم تسمعينى أقول انه كان أشد الرجال حمقا ، مما سيجعله يعرف معنى اليتم من الآن فصاعدا ، فيسخر منه الكبار .. والصغار ، ويصبون عليه جـام غضبهم ، ولعناتهم ؛ ويركلونه كالكلب الأجرب .

(يسمع صوت ضوضاء كبيرة لهتافات تأتى من الخارج من بعيد)

ماهون : (واضعا يديه فوق أذنيه) بحق السماء ! ماذا يريد هـؤلاء الذين يملئون الدنيـــا صخبا بالخارج ؟

الأرملة كوين : (وعلى شفتيها ظل ابتسامة) انهم يهتفـــون للبطل الصغير ، فتى العالم الغربى المدلل .

(تزداد الهتافات)

ماهون : (يذهب الى النافذة) ان قلبى يتمـــزق من ضجيج أصواتهم وجمجمتى تضج بالألم منـــذ الأســـبوع الماضى . هل هم ذاهبـــون الى السباق ؟ ..

جيمى : (ينظر من الباب) انهم ذاهبون الآن فعلا ، ها هم يساعدونه على امتطاء بغلته ، لأن سباق البغال سيجرى فوق الرمال ، ها هو ذا الفتى المدلل فوق البغلة السريعة !

ماهون : (متحيرا) أهو ذلك الفتى ؟ ! لو أنك قلت لى انه أحمق لأقسمت لك بالله العظيم أنه صورة طبق الأصل من ابنى الأفاق . (قلقا ، يضـــع يديه فوق رأسه) يا الهى ! ، أرانى راغبا فى الذهاب لمشاهدة السباق .

الأرملة كوين : (تمنعه ، بحدة) لن تذهب . ومن الأفضل لك أن تأخذ الطريق الى « بلموليت » والا تضيع الوقت هنا لأنك لن تستطيع أن تجد مكانا تأوى اليه هذه الليلة .

نيللى : (متقدما) دعك منها ، اصعد فوق المقعد ؛ وسوف ترى من هناك كل شيء . انهم يسرعون قبل أن ترتفع مياه المد ، سينتهى السباق لو أنك خرجت الآن لتهبط الممر وتخترق طريقك اليهم خلال الصخور السفلى .

ماهون : (يصعد فوق الكرسى ، تقف الأرملة كوين بجانبه) انه منظر رائع من هنا ، تحده حافة البحر . انهم قادمون الآن من نقطة البداية . وهو فى المقدمة . ترى من يكون ؟ ..

الأرملة كوين : قلت لك انه بطل العالم ، وليس هناك من شيء مهما صغر الا وسيلقيه الحظ بين يديه فى يومنا هذا .

نيللى : (ينظر متحمسا للسباق) انظروا ، انهم يستفزونه !

جيمى : ومع كل ، فسيفوز بالسباق !

نيللى : انتظر قليـــلا يا جيمى فاريل ولا تتسرع فى الحكم .

الأرملة كوين : (صائحة) انظروا ، ها هو ذا يصـــل الى البوابة . هذا هو السابق والا فلا .

جيمى : (هاتفا) مزيدا من القوة للفتى الصغير !

ماهون : انه يجتاز المتسابق الثالث .

جيمى : وسينتصر عليهم جميعا !

الأرملة كوين : سينتصر عليهم حتى لو كان معـــه عشرون متسابقا .

ماهون : انظروا الى البغلة التى يركبها ، انها تســابق الريح !

الأرملة كوين : يالهـــا من قفزة (تمسك بماهون من فرط انفعالها) ها هو ذا يسقط ! ركب بغلته ثانية ! يا الهى .. رائع ! انه يسبقهم جميعا ! ..

جيمى : انظروا اليه كيف يهمز بغلته !

نيللى : وفتيات الجبل يهللن متحمسات .

جيمى : انها الدورة الأخيرة . والهدف الآن مبسوطة اليه الطريق !

ماهون : انظـــروا الى المكان الضيق . انه ســيدخل

المستنقعات ! (يصرخ) ياله من فارس ! لقد اخترقها مرة أخرى !

جيمى : انه بجوارهم ، رقبة .. برقبة !

ماهون : ياله من فتى رائع ! انه يغلى . ولكنه قد فاز !

(هتافات عظيمة يشترك فيها الجميع)

ماهون : (مترددا) ما هذا ؟ انهم يحملونه فوق أكتافهم ، انهم قادمون به من هذا الطريق (وهو يزأر من الانفعال والدهشة) انه كريستى ! أقسم بنجوم السماء ! أنى أستطيع أن أعـــرف طريقته فى البصق حتى ولو ركب القمر .

(يقفز الى الأرض ، ويندفع مسرعا نحو الباب ، بينما تمســك به الأرملة كوين وتعيده الى الوراء)

الأرملة كوين : ألا تستطيع أن تهدأ ؟ انه ليس ابنك . (الى جيمى) امنعه ، والا فسوف تقضى شــهرا فى السجن من أجل تحريضك على قتــل رجل ، وتدفع غرامة أيضا .

جيمى : سأمنعه .

ماهون : (مناضــلا) دعنى أخرج ! دعونى أخــرج ! اتركونى حتى يحل انتقامى على أم رأسه .

الأرملة كوين : (تهزه بعنف) انه ليس ابنك ، انه رجـــــل سيتزوج من ابنة صاحب هذا المحل ، وهو محل ذو تجارة رائجة ، مرخص له ، وعامر بالخمور أيضا .

ماهون : (مذهولا) ذلك الرجل سيتزوج فتـاة لطيفة وعندها نقود ! أمجنونة أنت ؟ هل أنا الآن فى مستشفى للمعتوهات ؟

الأرملة كوين : لا يوجد هنا مجنون سواك بهذه الضربة التى فى رأسك . ان هذا الفتى الا أعجوبة الغرب .

ماهون : لقد تبينت فيه ابنى .

الأرملة كوين : انما تبينت أنك مجنون . (هتافات بالخارج) هل تسمعهم ، وهم يهتفون له عنـد منحنيات الطريق ؟ ألم تكن تقول ان ابنك هذا ، فتى أحمق ، فكيف يمكن أن يهتفوا لمعتـــــوه حقيقى ؟

ماهون : (يبدو عليه الضيق) لعله شىء غير معقول أن يكون ذلك الرجل هـو كريستى (هتـافات ثانية) فلا يمكن أن يهتف لكريستى أحـد .

أوه ، انى أهذى بجنون قادر على أن يخيف العالم كله !

(يجلس واضعا يديه فوق رأسه) حدث ذات مرة ، أن رأيت عشرة من الشياطين الحمر زعموا لى أنهم قادرون على حبس روحى داخل علبة فى حجم الجالون ، ومرة أخرى رأيت فيرانا كبيرة كالحيوانات الضخمة وهى تمتص دمائى من شحمة أذنى ! ولكنى ، لم يخطر ببالى حتى يومنا هذا ، أن ذلك المعتوه العبيط ، يمكن أن يكون رجلا . لقد انتهيت ، بكل تأكيد .

الأرملة كوين : ومن الذى يشك فى ذلك عندما يرى جمجمتك وهى مشجوجة الآن ؟

ماهون : اذن ، فلتحل على روحينا لعنة الظمأ المقدس ، لأنى لم يصبنى الجنون أبدا حتى هذا اليوم ؛ وقد كنت منذ حوالى ثلاثة أسابيع مع فتيات « ليميريك » أشرب الخمر بشراهة حتى أشرفت على الشلل وأحادثهن من وقت الغروب حتى

طلوع الفجر . (الى الأرملة كوين فجأة) هل يبدو على الشرود ؟

الأرملة كوين : واضح تماما ، أى طفل يستطيع أن يدرك لأول وهلة أنك مجنون خطر .

ماهون : (ينهض مبتهجا) حينئـذ ، ومن الأفضل أن أذهب الى جموع المحتشدين بالخارج وهناك سوف يرحبون بى ، بلا شك ، (بزهو كبير) لأنى رجل مرعب مخيف ، حدث لى ذات مرة أن ألبسونى قميص المجانين فجعلت أصرخ ، بينما يكتب سبعة من الأطباء كل ما أقول فى كتاب رسمى . هل تصدقين ذلك ؟

الأرملة كوين : حتى اذا كنت العجب العجاب نفسـه ، فمن الأفضل لك أن تمضى سريعا من هنا ، لأن هؤلاء الفتيان ، أمسكوا ذات مرة برجل مخبـول ، وظلوا يرجمون المخلوق المسكين وهو يجرى مسرعا ، يهذى ويرغى ويزبد ، حتى غرق فى البحـر .

ماهون : (متفلسفا) حقا ، ان البشر يصبحون شياطين

عندما يواجهون مجنونا ، دعينى أخرج الآن ، وسوف أتسلل من الممر السفلى حتى لا يروننى .

الأرملة كوين : (تشير الى الخارج) تماما ، أسرع الى اليمين ولن يراك أحد .

(يخرج مسرعا)

نيللى : (بتعقل) انك تلعبين لعبة ما ، أيتها الأرملة كوين ، ولكنى سوف أتبعه وأقدم له عشاء وأنتظر حتى يستريح وسأرى حينئذ اذا كان يهذى أو هو مثلك متمالك لقواه العقلية .

الأرملة كوين : (بضيق) اسمع ، اذا اقتربت منه ، فحافظ جيدا على رأسك ، ألم تسمعه وهو يحكى كيف يجن بين وقت وآخر ؟

نيللى : سمعته ، يقول كلاما كثيرا . وأعتقد أننا سنشهد أشياء طريفة قبل أن يهبط الظلام (يخرج) .

جيمى : فيللى رجل أحمق مغرور . كيف يتأتى لذلك المجنون أن يكون مالكا لقواه العقلية وجمجمته ملفوفة ؟ سأتبعهما لأراه الآن وهو ينقلب على فيللى .

(يخرج ، تخبىء الأرملة كوين الخمر خلف الباب ، ضوضاء بالخارج) .

أصوات : ها أنت ذا ! أعظم قافز ! أروع واثب ! الفتى المحبوب ! انه فارس السباق ! ألا تحملونه !

(يدخل كريستى مرتديا سترة السباق ومعه بچين ماپك ، وسارا وبعض الفتيات والرجال) .

بچين : (للجميع) ارجعوا الآن ، ولا ترهقوه فهو يتصبب عرقا . هيا ، ألا تسمعوننى .. العبوا لعبة شد الحبل حتى يجفف جسمه .

الجمع : ها هى جوائزه ! .. آلة موسيقى القربة ! قيثارة شاعر ، كان يعزف عليها فى الزمن الغابر ، حربة ذات ثلاث شعب قادرة على طرد العلماء خارج مدينة دبلن !

كريستى : (يأخذ الجوائز من الرجال) أشكركم كثيرا ، كلكم . لو رأيتمونى قبل هذا ، وأنا أضرب ضربتى الواحدة الفريدة ، لقلتم ، انى لم أفعل اليوم الا القليل .

منادى البلدة : (يقرع ناقوسا بالخارج) اسمعوا ! آخر فقرة فى مسابقات اليوم ! ستجرى لعبة شد الحبل فوق المنخفض الأخضر ! اسرعوا جميعا فرصة عظيمة لكل رجال قرية « مايو » .

بچين : هيا .. اذهبوا واتركوه حتى يستريح ويجفف جسمه . قلت لكم اذهبوا انه لن يفعل شيئا آخر . (تهش الجمع وتحملهم على الخروج ، تتبعهم الأرملة كوين) .

الرجال : (خارجين) هيا بنا اذن ، ولتقض وقتا سعيدا !..

بچين : (تجفف وجهه بشالها وهى متألقة بالبهجة) رائع ! انك حقا فتى الفتيان ، ولسوف تقضى أوقاتا ممتعة ؛ من الآن فصاعدا ، مادمت تستطيع أن تفوز بكل هذه الثروة من الجوائز بعرق جبينك فى حرارة الظهيرة ! ..

كريستى : (متطلعا اليها فى سرور) اننى سوف أقضى أوقاتا ممتعة ، اذا فزت بالجائزة الكبرى التى أبحث عنها الآن ، وهى أن تعدينى بالزواج فى خلال أسبوعين بمجرد أن يعلن نبأ اعتزامنا الزواج .

بچين : (مبتعدة عنه) انك فتى جرىء حقا ، اذ تسألنى الزواج ، فى الوقت الذى يعلم فيه الجميع أنك سترحل لكى تتقدم لواحدة من فتيات بلدتك

فى خلال أربعة شهور أو خمسة بعد أن تكون جثة أبيك قد تعفنت تماما .

كريستى : (ساخطا) أتقولين أرحل بعيدا عنك ؟ (يتبعها) انى لن أفعل ذلك الآن ، وعندما يحل الدفء ، فى خلال أربعة أشهر أو خمسة ، حينئذ ، نسير معا تحت ندى الليل ، على ضفاف نهر « نيڤين » تتنسم العبق الذى يمـــلأ الفضـــاء فى تلك الأوقات ؛ واذ ذاك تشاهدين الهـلال المتألق الجديد ، وهو يغوص وراء التلال .

بجين : (تنظر اليه — مداعبة) وهل هـذا النـوع المتواضع من المغامرات الغرامية ، هـو الذى تستطيع أن تمارسه ، يا كريستى ماهون ، على ضفاف نهر « نيڤين » عندما يهبط الظلام ؟

كريستى : انك لن تفكرى طويلا فيما اذا كان حبى لك ، حب مغامر متواضع أو عشق رجل نبيل ، حين تشعرين بيدى تحـــوطان بك ، وأنا أعتصر القبلات من شفتيك المزمومتين حتى أشعر بنوع من الشفقة على الرب الـذى يجلس وحيـدا فوق عرشه الذهبى فى كل العصور ! ..

بچـــين : سيكون ذلك شيئا رائعا حقا ، يا كريســـتى ماهون ، ستفتش النساء طويلا حتى ينال التعب منهن قبل أن يجدن شابا فى مثل بلاغتك أو حتى حديثك .

كريستى : (متشجعا) انتظرى اذن ، حتى يمضى يوم « الجمعة المقـــدسة » لكى تسمعينى أحدثك حتى نضـــل طريقنا فى ســـهول « اريس » ؛ فنشرب جرعة من عين ماء ثم نتبادل القبلات الرائعة بشفاهنا الرطبة ، أو نلعب فى احـــدى الفجوات المشمسة ، وأنت مستلقية على ظهرك وسط الزهور البرية .

بچـــين : (فى صوت خفيض — وقد تأثرت بكلماته) سأكون رائعة حينئذ ، أليس كذلك ؟ ..

كريستى : لو أن كبار الأســـاقفة رأوك فى ذلك الوقت ، لأصـــبحوا كالأنبياء الأطهار ، الذين يجهدون أســـوار الجنة دفعا ليمتعوا أعينهم « بهيلين » ملكة طروادة وهى تختال جيئة وذهابا ، وباقة من الزهر على شالها الذهبى ! ..

بچـــين : (فى رقة حقيقية) وما الذى أقدمه ، يا كريستى

ماهون ليجعلنى مطلبا لفتى مثلك ، له مثل هذا الحديث الشاعرى والقلب الشجاع .

كريستى : (فى صـــــوت خفيض) ألا ينبثق من قلبك وحده ، نور السماوات السبع ! وبهذا تكونين لى من الآن مصباحا ملائكيا يهدينى حينمـــا أكون خارجا فى الظلام أصطاد الأســماك من « أوين » أو من الـ « كاوومور » .

بچين : لو تزوجنا ، فسأقضى معك تلك الليـــالى ؛ يا كريستى ماهون ، واذ ذاك تجدنى خـــير معاون لك أتملق رجـــال البلدية ، وأخترع الألقـــاب الغريبة المضـــحكة ، وأمنحها لنجوم الليل .

كريستى : أنت ! وهل تظنين أننى أدعك تسعين الى حقك خلال البرد المتساقط أو فى ضباب الفجر ! ..

بچين : أنت .. وأنا .. سنعرف كيف نلجأ بسهولة الى دغل ضيق (يبدو عليها الفزع) ولكن ، لعلنا نتكلم فحسب ، لأن ناحيتنا هذه أضيق وأفقر من أن تحتوى فتى رائعا مثلك .

كريستى : (يلفها بذراعه) لو لم أكن مســيحيا مخلصا ،

لركعت على ركبتى العاريتين مرتلا صلواتى وتسابيحى ، أمام كل عود يظلل رأسك فى هذا المكان ، وحيال كل حصاة تمهد الطريق الى بابك .

بچين : (متألقة بالبهجة) اذا كنت صادقا ، فسأظل من الآن أوقد الشموع لله ، صانع المعجزات التى أتت بك من الجنوب ، وأنا قد اشتريت كل ثيابى ، فكأنى أستطيع أن أتزوجك دون أن أنتظر مطلقا .

كريستى : انها معجزات ! تلك هى الحقيقة . كنت هناك ، أكدح وقتا طويلا ، ثم أسير وقتا طويلا ، دون أن أدرى أبدا ، أنى فى كل الأوقات ، كنت أقترب حثيثا من هذا اليوم المقدس .

بچين : وأنا نفسى ، فتاة ، رغبت كثيرا فى أن أنطلق وأجوب البحار حتى أستطيع أن أتزوج من يهودى له عشرة براميل صغيرة من الذهب ، دون أن أدرى أبدا ، أن هناك فتى مثلك يقترب منى حثيثا كنجوم السماء ..

كريستى : انى لأعجب كيف ظللت أعواما طويلة ، أسمع

النساء تتحـــدث الى كل من لا يستأهل من الرجال مثل أحاديثك هذه وكيف وأن هذه هى المرة الأولى التى سمعت فيها صوتا حلوا مثل صوتك ، يتحدث ، ليسعدنى أنا ..

بجـــين : وأنا أعجب ، كيف أتحدث اليك بهذه الكلمات العذبة ، يا كريستى ماهون ، وأنا التى أسبب الرعب فى سبعة بلاد حولنا بلسانى السليط .. حقا ، ان القلب ، لشىء عجيب ، وما أرى من اليوم ، بل من هذه الساعة فى قرية « مايو » كلها عاشقين فى مثل عنف حبنا .. (تسمع أغنية ثملة من الخارج) ها هو ذا أبى قادم من الجناز ، لسوف نخبره بعد أن يصحو من نومه ، لأنه يكون هادئا اذ ذاك (يفترقان) .

مايكل : (يغنى خارجا)

الحارس والسجان ..

سرعان ما أجهدانا

وأعادانا ثانية ..

سجناء .. الى بلدة « كاڤان » ..

(يدخل يسانده شون)

وهناك ، رقدنا جمعا ..

تبكى خلف الأسوار ..

(يرى كريستى . يذهب ويصافحه وهو يهز يده مخمورا بينما تقف بجين مع شون الى اليسار وهما يتحدثان)

مايكل : (الى كريستى) بارك الله فيك ، أيها الفتى ولتحرسك الملائكة المقدسة التى تحلق فوق رأسك . فقد سمعت خبر فوزك على الجميع فى المباريات الرياضية التى أقيمت فوق المنخفض . ألم يكن شيئا مخجلا حقا ، أنى لم أدع فتى قويا ورائعا مثلك يصحبنى الى السهر على جثمان « كيت كاسيدى » ، لأنك لن تر أبدا مثيلا لتلك الليلة التى تدفقت فيها الخمر كالأنهار ! .. حتى أننا عندما أنزلنا جثمانها — عند منتصف النهار — الى قبرها الضيق كان هناك خمسة رجال ، بل وستة رجال ! ممددين بالخارج فوق الحجارة المقدسة ، عاجزين عن الكلام ، وقد أخذهم الغثيان ..

كريستى : (قلقا ، يرقب بجين) أحقا ؟ ..

مايكل : هذا ما حدث فعلا ، ألم تكن فتى محتالا وأحمق اذ تدفن أباك المسكين كما يدفن المجهولون فى الوقت الذى كان يجب عليك فيه أن تلقيه على ظهر بغلة من بغال « كيرى » وتقوده نحـــو الغرب كما حـــدث ليوسف المقدس فى الأيام الخالية ، حتى كنا نستطيع أن نقيم له جنازا محترما ولا ندعه يتعفن هناك ، دون أن يذوق أى مسيحى نقطة واحدة من الخمر رحمة ونورا على روحه ؟ !

كريستى : (بشراسة) ان المكان الذى يرقد فيه مناسب جدا لأمثاله .

مايكل : (يربت على ظهره) ألست سفاحا متحجر القلب ؟ ان رب الأسرة الذى ستقصده بحثا عن زوجة لك ، سيكون فى موقف لا يحسد عليه ..
(مشيرا الى شون) تطلع وراءك ، الى ذلك المسيحى اللطيف ، الخجـــول الذى اخترته لابنتى ، لقد وصلنى اليوم التصريح المذهب ، الذى به أزوجه ابنتى .

كريستى : ولكن ، أحقا تزوجهما اليوم ؟

مايكل : (محاولا النهوض) نعم ، هل تعتقد أننى ، مهما كنت مخمورا ، اترك ابنتى تعيش بمفردها مع محتال صغير مثلك ، يملؤه الزهو ؟

بچين : (مبتعدة عن شون) أحقا ان التصريح قد وصل ؟

مايكل : (باقتصار) ان الأب ريللى قرأه باللسان اللاتينى وقال : « لقد وصل فى الوقت المناسب ، ولذلك سأزوجهما عاجلا خوفا من ذلك المخادع الصغير الذى يستطيع أن يقلب نجوم السماء رأسا على عقب ! » .

بچين : (بشراسة) لقد ضاع منه وقته المناسب ، لأن كريستى ماهون ، هو الفتى الذى سأتزوجه الآن .

مايكل : (فى صوت مرتفع وقد تملكه الرعب) أتجعلينه ابنا لى ، وهو بعد ملوث بدماء أبيه ؟ ..

بچين : نعم ، ألا تشعر أى فتاة بالمرارة حين تقدم على الزواج من فتى « كخيال المقاتة » مثل شافين ، ليست لديه شجاعة ما ، ولا تعرف الكلمات الحلوة طريقها الى لسانه .

مايكل : (يتهالك لاهثا فوق كرسيه) أوه ؛ ألست فتاة وثنية ، اذ تحاولين تحطيم قلبى وأنا كالغارق فى مستنقع من كثرة ما شربت من الخمر ، أتريدين أن تجعلى الشراب ينقلب على حتى أظل أئن الى طلوع الفجر والغارات جاثمة على بطنى ؟ (يلتفت الى شانين) أليست لديك كلمة واحدة تساعدنى بها يا شانين ؟ ألا تشعر بالغيرة مطلقا ؟

شون : (فى تعاسة كبيرة) انى لأخاف أن تتملكنى الغيرة من رجل سفك دم أبيه .

بچين : انه لشىء مؤسف حقا أن أقدم على الزواج من فتى مثلك ، وثمة عالم من المهالك ينتظر يتيمة مثلى ، أو ليست نعمة كبيرة أنى لم أتزوجك قبل أن يفد علينا هذا الفتى قادما من الغرب أو الجنوب ؟

شون : انها لحكاية غريبة ، أن تختارى أفاقا قذرا من طرقات العالم !

بچين : (بمرح) وهل تظن أنك تصلح عريسا لى أتمشى معه فى أيام الآحاد المشرقة من أوائل العام فى

الوقت الذى تذكرنى فيه بكبد الثور وليس بالورد أو السوسن ؟

شون : وأنت ، ألا يثير اهتمامك لهفتى الشديدة ، ولا الحصول على التصريح المقدس ، ولا العجول الصغيرة التى أعطيها لك ، ولا الخاتم الذهبى ؟ ..

بچين : أعتقد يا شون كوج ؛ يا فتى قرية «كيلاكين» أنك أروع من أن تناسبك فتاة مثلى ، وأن عليك أن ترحل بعيدا حتى يمكنك أن تعثر على سيدة مرموقة ، تملك قطعانا من الثيران ترعى فى سهول « ميث » سيدة يزينها من الماس والجوهر النفيس ما كانت تتحلى به أم فرعون . لابد أن تلك هى التى تناسبك ، يا شانين فتفضل ، اذن ، غير مطرود .

(تتراجع خلف كريستى)

شون : ألم تسمعينى وأنا أقول لك ... ؟

كريستى : (بشراسة) ابعد نهائيا عن هذا الموضوع ؛ أيها الفتى الصغير ، والا فربما أضفت جريمة الى ما فعلته اليوم ..

مايكل : (يهب من مكانه صائحا) أتقول جريمة ؟ ! .. هل أصبت بالجنـــون ؟ هل تريد أن ترتكب جريمة فى هذا المكان الذى تتكدس فيه الخمور من أجل شرابنا جميعا هذه الليلة ؟ اذا كنت ترغب فى النزال ، فاذهب الى الشاطىء الأمامى حيث مياه المد قادرة على أن تمحو الآثار من ذكرى الانسان .

(يدفع شون نحو كريستى)

شون : (يخلص نفســـــه ويختبىء وراء مايكل) لن أنازله ، يا مايكل جيمس ، انى أفضل أن أعيش أعزب عن طيب خاطر ، أجتر رغبـــاتى طيلة حياتى ، ولا أواجه وحشا متوثبا ، الله وحده هو الذى يعلم من أين جاء .. اضربه أنت بنفسك ، يا مايكل جيمس والا فقدت العجول الصغيرة التى سأعطيها لك والثور الأزرق الذى أتيت به من « سنيم » .

مايكل : أأنا الذى أنازله ، وهو الذى تعود على قتـــل الآباء ؟ .. (يدفع شون) هيا ، أيها الأحمق ونازله الآن .

شون : (يتقدم قليلا) وهل أضربه بيدى ؟

مايكل : خذ الجاروف الملقى الى يسارك .

شون : انى لأخاف من المشنقة اذا ضربته به .

كريستى : (يرفع الجاروف) اما أن تواجه المشنقة أو تبعد تماما عن هذا الموضوع .

(يخرج شون مسرعا من الباب)

كريستى : فلتصحبه السلامة (يذهب الى مايكل — متملقا) أعتقد ، أنك لا تود أبدا أن تستبقى فى منزلك ذلك المنافق الرعديد ؛ امنحنا رضاك ، واسمعها تعبر عن اخلاصها لى لأنى رجل تحالفنى نجوم السعد ، حتى ليتمنى أى انسان أن يستبقنى فى منزله .

بچين : (وهى واقفة بالجانب الآخر لمايكل) فلتباركنا الآن ، لأنى أقسمت بالله أنى سأتزوجه ولن أحنث فى قسمى .

مايكل : (واقفا فى الوسط — ممسكا بهما) أعتقد أنها ارادة الله ، أن يلاقى كل انسان احدى النهايتين ، السعيدة أو الشقية . كما أنها ارادة الله أن يربى كل انسان أسرة كثيرة العدد تخصب أجسادهم

الأرض . خبرانى .. ماذا تعنى حيـــاة رجل أعزب ، يأكل فى بيت كسرة من الخبز ، ويشرب فى بيت آخر جرعة من الخمر ، دون أن يكون له بيت خاص .. كحمار أحمق عجوز ، ينهق وقد ضل شاردا فوق الصـــــخور ؟ ! (الى كريستى) لا شك أن الكثيرين ، يخافون أن يدخلوا الى منازلهم فتى مثلك ، فلعلك تفاجئهم بنهاية غير متوقعة ! ولكنى رجـــل ايرلندى محترم ، أرحب بالموت قبل الأوان ما دام يشب لى عشرون من الأحفاد شجعانا لا يترددون فى ترديد القاسى من الألفاظ عوضا عن أن أملأ منزلى بالنسل الضعيف كالذى كان يمكن أن تنجبيه من شانين كوج .

(يشبك يديهما) ان فتى جريئا ، لهو جوهرة هذا العالم ، ولابد أن رجلا شق جمجمة أبيـــه بضربة واحدة حتى الوسط ، له شجاعة عشرة من الرجـــال ، وعلى ذلك ، بارك الله فيكما ولتباركما العذراء مريم والقديس « باتريك » وليكن تسلكما موفورا ، من هذا اليوم ! ..

كريستى وبچين : آمين ، أيها الرب ! ..

(هرج ومرج بالخارج ـ يندفع العجوز ماهون داخلا ، يتبعه جميع المتجمهرين تصاحبهم الارملة كوين ـ يندفع ماهون نحو كريستى ويلقيه أرضا ثم يبدأ فى ضربه)

بچين (تشد ذراعه) كف عن ضربه ؟ من أنت بحق السماء ؟

ماهون أبوه ، وليغفر الله لى ! ..

بچين : (تتراجع الى الوراء) هل بعثت من القبر ؟ !

ماهون : أتظنين أن من السهل القضاء على بضربة خفيفة من جاروف ؟ ..

(يضرب كريستى ثانية)

بچين : (محملقة فى كريستى) اذن فقد كنت تروى الأكاذيب زاعما — زورا — أنك شطرته نصفين .

كريستى : (ممسكا بعصا ماهون) انه ليس أبى ، انه مخرف مخبول يرعب الناس (مشيرا الى الأرملة كوين) اسألوها ، فهى تعرف أنى أقول الحقيقة .

الجمع : أنت تخدع بچين ! لقد رأته الأرملة كوين هذا اليوم ، ولعلك أنت أيضا تدرى أنك كذاب !

كريستى : (مرتبكا) انه هو الذى كذب على وهو ممدد فوق الأرض فى العراء ورأسه مشجوج ، مدعيا الموت ! ..

ماهون : ألم تهرب بعيدا ، تسابق التلال ، قبل أن ألتقط أنفاسى من المفاجأة بعد أن رأيتك تهجم على ؟..

بچين : كلما تأملت هذه الشهرة الرائعة التى منحناها له ، وهو الذى لم يفعل شيئا سوى أن ضربه ضربة ناعمة ، ثم انطلق هاربا نحو الشمال يتصبب عرقا من الخوف . ارحل بعيدا عنا .

كريستى : (باسترحام) لقد رأيت بنفسك ما فعلته اليوم ، فانقذينى من هذا الرجل العجوز ، لماذا تتسرعين الى هذه الدرجة ، وتدفعيننى نحو الهلاك ؟ ..

بچين : ان خداعك هو الذى يدفعنى الى ذلك وانه ليصعب على أن أتصور أنك الانسان الذى كنت أسعى الى الارتباط به ، فى النصف ساعة الماضية ، بكل شغاف قلبى (الى ماهون) ارحل به بعيدا عن هنا ، لأنى يسوءنى أن يرانى الناس

وأنا فى قمة غضبى من أجل كذاب « منستر »
هذا ، المغفل الذى يضحك منه الرجال جميعا .

ماهون : انهض الآن ، لتنال جزاءك ، وتعال معى .

الجمع : (ساخرين) هذا هو الفتى المدلل ! هذا هو الفتى الذى ظن أنه سوف يتربع على عرش « مايو » اضربه الآن ، أيها السيد ! ..

كريستى : (ينهض وهو فى شدة الرعب) ما الذى يدفعكم الى تعذيبى هنا ، فى الوقت الذى أدعو فيه الله القدير أن يرسل على صاعقة تمحونى اذا كنت آذيت مخلوقا فى حياتى بخلاف هذه الضربة الوحيدة .

ماهون : (بصوت مرتفع) اذا كنت لم تؤذ أحدا فأنت مسكين عديم النفع ، أو ليس مثلك من يرتكب خطايا العالم كله ؟

كريستى : (رافعا يديه) باسم الله القادر ..

ماهون : لا تزعج الرب ، أتريده أن يبتلونا بالقحط والحمى ومرض الدجاج ووباء الكوليرا ؟ ..

كريستى : (الى الأرملة كوين) ألا تقفين بيننا وتحمينى منه الآن ؟

الأرملة كوين : لقد حاولت الكثير ، وليساعدنى الله ، فقد فعلت كل ما أستطيع .

كريستى : (ينظر حوله فى قنوط) أمن المحتم أن أعود وأعانى العذاب ثانية ، أو أن أنطلق كأفاق ضال من ولاية الى أخرى ، وغبار أغسطس يلوث حلقى بالطين ، أو تلفحنى رياح مارس حتى أقسم أنى شعرت بصفيرها داخل ضلوعى ؟

سارا : توسل الى بچين أن تساعدك ، فان مثيلاتها لا يثبتن على حال .

كريستى : انى لن أفعل ذلك الآن ، لأن الجلال الذى تتمتع به مثيلاتها ، يسبب العذاب ، وهى فتاة يفخر القمر حين يطلع عليها فى منتصف الليل وهو يواجه الجنوب على مروج « كيل » ترى ما الذى أغرانى بأن أزحف الى جوارها كى يحرقنى جبينها المتلظى ؟ ..

بچين : (الى ماهون — بعنف — وهى تخشى أن تنفجر باكية) ارحل به من هنا ، والا فسأدع الفتيان يقضون عليه الآن .

ماهون : (ذاهبا اليه وهو يهز عصاه) هيا بنا الآن ، اذا كنت لا تحب أن يراك الجمع مضروبا ..

بچـــين : (نصف ضاحكة من خلال دموعها) تلك هى النهاية ! سوف يراه الكل الآن وقد نال عقابه ، هذا الكذاب القبيح الذى كان يمثل دور البطل الذى يرعب الرجال !

كريستى : (الى ماهون — بحدة شديدة) دعنى أذهب !..

الجمع : أيوه ! الآن دور كريستى . اذا قامت المعركة بين هذين الاثنين فستكون مريعة .

ماهون : (يثب وثبة نحو كريستى) تعالى الى هنا .

كريستى : (يزيد من وعيده) قلت لك دعنى أذهب .

ماهون : قد أدعك بعـد أن تتكسح ساقاك ، ويزرق ظهرك !

الجمع : هيا استمرا ، أنتما الاثنين . ســـوف آناصر العجوز . والآن .. الفتى المدلل ..

كريستى : (فى صوت عميق ، منخفض) كفـــوا عن صياحكم ، لأنكم اذا كنتم بفضـل كذبة قد جعلتم منى اليـــوم رجلا قويا ، فأنتم الآن تدفعوننى الى الاعتقاد ، بأنه اذا كانت الوحدة

أمرا سيئا ، فربما من الأسوء أن يسعى المرء الى مخالطة المغفلين فى الأرض .

(يتحرك ما هون نحوه قليلا)

كريستى : (يكاد يصيح) ابعد عنى .. والا وجهتها ضربة أمامكم جميعا ، تجعل الملائكة الحارسة تتأوه فوق السحاب !

(يدور بحركة سريعة مفاجئة ويلتقط الجاروف)

الجمع : (فى مزيج من الفزع والسرور) .
لقد جن ! حافظوا على أنفسكم ! اهربوا من هذا المعتوه !

كريستى : اذا كنت معتوها ، فانى أريد اليوم أن أسمعكم صوتى ينطق بكلمات تنوج شاعرا فى بلدة من بلاد التجار . لقد فزت عليكم فى السباق ، والقفز ، و ..

ماهون : اقفل فمك وتعال معى .

كريستى : انى ذاهب ، لكننى سأطرحك أرضا أولا .

(يسرع نحو ماهون ممسكا بالجاروف ، ويطارده خارج الباب ، يتبعهما الجمع والأرملة كوين ، ضوضاء كبيرة بالخارج ،

ثم تنطلق صرخة ، وتمضى لحظة صمت مطبق . يدخل كريستى شبه ذاهل ويتجه نحو المدفأة)

الأرملة كوين : (تدخل مسرعة اليه) انهم عائدون اليك . تعال ، والا فسوف تشنق حقا .

كريستى : الآن آمل أن تعود بچين الى مدحى كما كانت تفعل فى الساعات الماضية .

الأرملة كوين : (بضجر) تعال من الباب الخلفى ، فانى لا أحب أن أدعك تشنق على جذع المشنقة .

كريستى : (ساخطا) لن أفعل ذلك ، وأى معنى سيكون لحياتى اذا تركت بچين ؟

الأرملة كوين : تعال ، ولن تكون أسوأ مما كنت فى الليلة الماضية ، وقد أصبحت الآن ولك جريمتان تقصهما على الفتيات .

كريستى : لن أترك بچين مايك .

الأرملة كوين : (بضجر) ألا يوجد لها مثيل فى كل اقليم من « بينجهاستون » حتى سهل « ميث » ؟ قلت لك تعال ، وسوف أجد لك عشيقات أجمل منها كلما أطل القمر شاحبا من السماء ..

كريستى : ان بچين ، وحدها هى التى أبحث عنها .

وما الذى يعنينى اذا أحضرت لى باقة من أجمل الاناث حتى ولو وقفن بقمصانهن الداخلية من هذا المكان الى العالم الشرقى ؟

سارا : (تدخل مسرعة وهى تمد يديها بأحد ثيابها) انهم يريدون شنقه (تقـدم الثوب والشال) دعيه يرتديهما ويهرب بعيدا نحو الشرق .

الأرملة كوين : انه يهذى الآن ، ولكننا سنجعله يرتديهما ، ثم آخذه معى فى المعدية الى السفينة المتجهة الى « آشيل » .

كريستى : (فى مقاومة ضعيفة) ألا تتركانى أذهب ؟ .. اننى حين أفكر فى الحظ الذى لازمنى اليوم ، أعتقد أنها سوف تتزوجنى بالتأكيد بعـد أن أثبت بطولتى فى نهاية الأمر .

(تحاولان الباسه الثوب)

الأرملة كوين : امسكى يده اليسرى ، وسوف نجذبه الآن . هيا أيها الشاب .

كريستى : (يهب واقفا — بصوت مرتفع) أتحاولان أن تبعدانى عنها ؟ .. هل تشعران بالغيرة لأنهـا ستتزوجنى ؟ .. ما دخلكما بنا ! ..

(يخطف كرسيا بدون ظهر ويهددهما به)

الأرملة كوين : (وهى ذاهبة) يجب أن يضعوه فى مستشفى المجانين وليس فى السجن أبدا ، سنذهب من البـاب الخلفى لندعو الطبيب ، بهذه الطريقة يمكننا انقاذه .

(تخرج مع سارا من خـلال الحجـرة الداخلية . يتجمهر الرجال عند مدخل الباب . يجلس كريستى ثانية قـرب المدفأة)

مايكل : (يهمس فى فزع) هل قتل الرجل العجـوز حقيقة ؟

فيللى : لقد كنت معه وهو يلفظ أنفاسه الأخـيرة (يتفرسان فى كريستى) .

مايكل : (معه حبل) أنظر الى حاله الآن . أعقد أنشوطة الشنق فى الحبل ثم القه على رأسه وهو غير منتبه .

فيللى : فلتأخذه أنت يا شانين ، فانك متمالك لنفسك أكثر منا جميعا .

شون : أأنا الذى أقترب منـه ، وهو الذى يخصنى بأسوأ وأشر معاملة ؟ .. فلتأخذيه أنت يا بچين مايك .

بجين : هاته اذن . (تتقدم مع الآخـــرين ويسقطوا الأنشوطة فوق رأسه) .

كريستى : ماذا أصابكم ؟ ! ..

شون : (فى زهو الانتصار ، بينما هم يجذبون الحبـــل ويحكمون وثاقه حول ذراعيه) هيا الى البوليس حتى يطرحوك على الأرض .

كريستى : أنا ! ..

مايكل : اذا أخـــذتنا بك أى شفقة ، فربما يجلب الله الدمار علينا اليوم من سطوة القـــانون ، فمن الأفضل أن لا تقاوم ، لأن الشنق نهايته سهلة وسريعة .

كريستى : لن أتحرك (لبجين) وأنت .. ما قولك لى الآن بعد أن ارتكبت فعلتى هذه المرة أمـــــام الجميع ؟ ..

بجين : أقول ، حين كنت مجرد رجل غريب ، كنت رائعا بحديثك الشجاع ، أما المشاجرة التى جـــرت هناك فى ساحتكم الخلفية ، وضربة الجاروف ، فانهما علمانى أن هناك هوة كبيرة بين قصـــة بطولية وفعلة دنيئة (للرجال) خذوه من هنا ،

والا فربما حوكمنا جميعا من أجل ما فعـــله اليوم .

كريستى : (فى صوت ملؤه الرعب) وأنت التى ترسلينى بنفسك ، لكى تسلمى رأسى لأصابع الجـلاد الصلبة تشد الأنشوطة حول رقبتى .

الرجال : (يجذبون الحبل) هيا .. ألا تتقـــدمون ؟ (يجذبونه فيقع على الأرض) .

كريستى : (يلف ساقيه حول المنضدة) اقطعى الحبـــل يا بچين وسوف أترككم جميعا وأعيش من الآن فصاعدا كمجنون « كيل » آكل القـاذورات ؛ وأقتات الحشائش الخضراء التى تنبت فـوق صخور الشاطىء .

بچين : وتتركنا نحن لنشنق من أجـــل كذاب دنىء مثلك ، أليس كذلك ؟ (للرجال) خذوه من هنـــا .

شون : احكموا الوثاق حول رقبته ، واضغطوا عليه .

فيللى : احكمه أنت بنفسك ، انه قطعا لا يستطيع أن ينالك بسوء ما دمت تقف بعيدا عن أسنانه .

شون : انى أخافه (لبچين) ارفعى قطعة من الحطب الملتهب والسعيه بها فى ساقه .

بچين : (تنفخ النار بمنفاخ) اترك المنضدة ، حالا أيها الفتى والا ألهبت عظام ساقيك بالنار .

كريستى : أتنفخين فى النار لتعذبينى ! (فى صوت قوى يرتفع تدريجيا) أهذه أنت ؟ ! .. اذن فلتحذروا جميعا ؛ لأنه اذا كان على أن أواجه الشنق ؛ فلتعلموا أنى سأقيم احتفالا فى طريقى الى المشنقة وسأسفك فيه دماء بعضكم قبل أن أموت .

شون : (فى رعب) امسكه جيدا يا فيللى ، استحلفك بالله ، كن حذرا ، لأنى أعتقد انه يتوق ، أكثر ما يتوق الى الانتقام لآلامه منى .

كريستى : (فى شىء من المرح) لو أنى وضعت يدى عليك ؛ فسيجدونك مشنوقا عندما يهبط الظلام ؛ تفزع طيور الجحيم كذلك النصب الذى يضعونه فى الحقول ، آه ! .. صدقنى ؛ وستسنح لك الفرصة لكى تصحب روح أبى فى

احدى العربات ، وتقومان بجولة بطولية خلال عالم النسيان ! .

شون : (لبچين) ألا تسرعى ؟ أليس هـذا الفتى لنا كالرعب المجسم ؟ أليس صحيحا ما قاله الأب ريللى من أن الخمر كلها ملعونة وأنها هى التى جعلتكم الآن جميعا ترتعدون غير واثقين من أنفسكم ؟

كريستى : لو استطعت أن أقصف رقبة أى منكم ، فلسوف أحاكم محاكمة ملوكية وأنا أطل عـلى هيئـة المحلفين وهم يرتجفون فى قاعة المحـكمة . ألن يمـلأ « مـايو » الصراخ والنحيب يوم يلتف حبـل المشنقة حول عنقى ، بينما تقف النساء فى ثيابهن الحريرية يتمخطن فى المناديل المزركشة ، وينظمن الأغنيـات والحكايات الشعرية الطويلة حول نهايتى المخيفة ؟ ..

(يلتوى بحركة دائرية على الأرض ويعض ساق شون)

شون : (صارخا) آه ! لقد عض ساقى ، أعتقـد أنه كالكلب المسعور . انى سأموت حتما .

كريستى : (مسرورا بما فعل) ستموت فعلا ، وبهـــذا تستطيع أن تلوح بأعلام الجحيم مرحبا بقدومى اليك ، فى خلال أسبوعين أو ثلاثة ، لأنى أعتقد أن الشيطان ليس لديه كثيرون قتلوا آباءهم فى « كيرى » وفى « مايو » أيضا .

(يدخل العجوز ماهون من الخلف ، يحبو على أربع ، ويتطلع اليهم — دون أن يلحظه احـد)

الرجال : (لبچين) ألا تحضرين الجمرة ؟ ..

بچـين : (قادمة نحوهم) كان الله فى عونه اذن (تحرق ساقه) .

كريستى : (صارخا — يحرك ساقه من شـــدة الألم) المجد لله ! ..

(يخلص ساقيه من المنضـــدة ، يسحبه الجميع نحو الباب)

بچـين : (يرى العجـوز ماهون) ألا ترون من الذى دخل هنا ؟

(يســـقطون كريستى ويسرعون ناحيـة اليسار)

كريستى : (زاحفا على ركبتيه حتى يصبح وجها لوجه مع

العجوز ماهون) هل أتيت لكى أقتلك للمرة الثالثة ، أم ماذا أصابك ؟ ..

ماهون : لماذا أوثقوك هكذا ؟ ..

كريستى : انهم يأخذوننى الى البوليس حتى يشنقونى لأنى ذبحتك ! ..

مايكل : (معتذرا) انها ارادة الله فلابد لكل انسان أن يحافظ على بيته من غدر القانون ؛ وما الذى كانت ستفعله ابنتى لو حلت بى مصيبة ؛ أو شنقت فعلا ؟ ..

ماهون : (بكآبة وهو يفك وثاق كريستى) أنا لا يعنينى فى شىء أن تضع كيسا على ظهرها ، وتظل تجمع الأصداف حتى تموت ، ولكن ابنى سيأتى معى لنمضى فى طريقنا ؛ وسوف نسعد معا من الآن فصاعدا ، نروى الحكايات عن أشرار « مايو » وعن الحمقى الذين قابلناهم هنا . (الى كريستى ؛ بعد أن تخلص من وثاقه) هيا بنا الآن .

كريستى : أأذهب معك ؟ .. انى سأفعل ذلك الآن ؛ وأمضى معك كالقائد البطل مع عبده الوثنى .

اذهب الآن ، وسأجعلك من اليوم تنظف البطاطس وتعد لى طعامى ، لأنى السيد ، من الآن فى كل المعارك (يدفع ماهون) اذهب ! ألا تسمعنى ؟ ..

ماهون : أنا ؟ ! ..

كريستى : اياك أن تنطق بكلمة واحدة . اذهب من هنا .

ماهون : (خارجا) وهو ينظر الى كريستى من وراء كتفه المجد لله !

(فى ابتسامة عريضة) لقد جننت ثانية ! ..

كريستى : فلتحل آلاف البركات عليكم جميعا ، فقد منحتمونى فلاحا يعتمد عليه ، وسأحيا من هذه اللحظة ، حتى يأتى يوم الحساب فى عالم من الخيال والجمال والمغامرة .

(يخرج)

مايكل : الآن ، بعون الله ، نستطيع أن نسكر فى سلام . ألا تحضرين الجعة يا بچين ؟

شون : (ذاهبا اليها) انها معجزة ! فان الأب ريللى يستطيع أن يزوجنا فى نهاية الأمر ، ولن يزعجنا شىء ، بعد أن أبرأ من عضته الحقود .

بچـــين : (تصفعه على أذنه) أغرب عن وجهى . (تضع شالها فوق رأسها وتنفجر فى نواح عنيف) أوه ، يا لأحزانى ! لقد فقدته قطعا ، فقدت الفتى المدلل الوحيد ، فى الغرب .

ســـــتار

روائع المسرح العالمى

صدر منها حتى الآن ٦٣ مسرحية

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١	الشقيقات الثلاث	أنطون تشيكوف
٢	أعمدة المجتمع	هنريك ابسن
٣	سيرانو دى برجراك	ادمون روستان
٤	مروحة ليدى وندمير	أوسكار وايلد
٥	بغيلسوبى	سمرست موم
٦	الغربان	هنرى بك
٧	اليكترا	جان جيرودو
٨	توركاريه	ر . لوساج
٩	الدائرة	سمرست موم
١٠	شاترتون	الفرد ديفينى
١١	الأم	كارل تشابك
١٢	اللعبة الغادرة	جون جالزوردى
١٣	لعبة الحب والمصادفة	ماريفو
١٤	ست شخصيات تبحث عن مؤلف	لويجى بيراندللو
١٥	عربة اسمها الرغبة	تنسى وليامز
١٦	عزيزى بروتس	ج . م . بارى
١٧	رجل الله	جابرييل مارسل
١٨	هيدا جابلر	هنريك ابسن

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١٩	سباق المشاعل	بول هارفيه
٢٠	كتـــوك	جول رومان
٢١	جـــونو والطاووس	شيين أوكاسى
٢٢	دون جوان	مولير
٢٣	بيت برناردا ألبـــا	غدريكو غرسيه لوركا
٢٤	القرد الكثيف الشعر	يوجين أونيل
٢٥	مأســاة الدكتور فوستس	كريستوفر مارلو
٢٦	الأستاذ كلينوف	كارن برامسون
٢٧	ثورة المـــوتى	اروين شو
٢٨	ماتعرفه كل امرأة	أوسكار وايلد
٢٩	أهمية أن يكون الانسان جادا	جيمس بارى
٣٠	دائرة الطباشير القوقازية	برتولت برشت
٣١	منزل القلوب المحطمة	جورج برناردشو
٣٢	القيثارة الحـديدية	جوزيف اوكونور
٣٣	أفكار صبيانية	نويل كوارد
٣٤	زوجة مستر تانكرى الثانية	آرثر وينج بنيرو
٣٥	عنـدما نبعث نحن الموتي	هنريك ابسن
٣٦	لا وقت للفكاهه	س ٠ ن ٠ بيرمان
٣٧	سيجفريد	جان جيرودو
٣٨	علماء الطبيعه	فريدرش دورنمات
٣٩	رغبة تحت شجر الدردار	يوجين أونيل
٤٠	حـورية البحر	هنريك ابسن
٤١	جزاء حـــدماتهم	سومرست موم

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
٤٢	ايولف الصغير	هنريك ابسن
٤٣	بلياس وميليزانـــد	موريس ماترلنك
٤٤	الاب الكبير براون	بوجين اونيل
٤٥	حاملة المصباح	رجنالد بركلى
٤٦	آل باريت	رودلف بيزيه
٤٧	الزفاف الدامى	فدريكو جرثيا لوركا
٤٨	الخاطبـة	تورنتن ويلدر
٤٩	اعرف نفســك	بول هرفيو
٥٠	القصى	ترنتيوس أفــير
٥١	فترة التــوافق	تنيسى وليامز
٥٢	بــيرجينت	جون جلزورذى
٥٣	الابن الأكبــر	جون جلزورذى
٥٤	زيارة السيدة العجوز	فريدريش دوريمات
٥٥	ديدرى فتــاة الأحزان	جون ميلنجتون سنج
٥٦	المسافر بلا متــاع	جان انوى
٥٧	الحــالة	المر رايس
٥٨	كلهــم أولادى	آرثر ميلر
٥٩	اوندين	جان جيرودو
٦٠	ميناقون بارنهلم	جونهولد افرايم لسينج
٦١	معطف الفراء	جرهارت هاوبتمان
٦٢	كرنفال الأشباح	موريس دوكوبرا
٦٣	«هو» الذى يصفع	ليوتيد أندرييف

ملتزم التوزيع فى الداخل والخارج : مؤسسة الخانجى بالقاهرة
وتطلب من المكتبة القومية ٥ ميدان عرابى « القاهرة »
ومن مكتبة المثنى ببغداد ودار العلم للملايين ببيروت